



المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقتاً

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشرف
أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
القاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

السنة الأولى

القاهرة في يوم الأربعاء ١٩ ذو القعدة ١٣٥١ - ١٥ مارس ١٩٣٣

العدد الخامس

بين السوامر والصحف

أسير الجهاد :

بين عشية وضحاها نزل صديقنا الأستاذ محمد توفيق دياب من قصر صاحبة الجلالة الصحافة ، الى سجن الأرباب من سلاب الأموال وقلة الأنفس . لأنه رأى رأياً في سياسة هذا البلد عن اخلاص وعقيدة فلم يقره عليه القانون القائم . وحاولت صاحبة الجلالة أن تعصمه من أمر القضاء بالرحمة ، ومن تنفيذ الحكم بالعفو ، ومن قسوة التنفيذ بالرجاء . فما رجعت بطائل . وظهر أن جلالة الصحافة بجلالة الحسن : روافي العين ، ولا سلطان في الدين !!

إنا نؤمن بدالة القضاء كما نؤمن بحكمة القدر : ولكن في السجن

فهرس العدد

- ٢ بين السوامر والصحف
- ٥ المزمع : لأحمد حسن الزيات
- ٧ نرائنا القديم : للأستاذ أحمد أمين
- ٨ اسكندر بقتل صديقه : للدكتور عبدالوهاب عزام
- ١٠ مجمع البحور وملتقى الأوزان : للدكتور محمد عوض
- ١١ طبقة برجسون : للأستاذ زكي نجيب محمود
- ١٥ ابن خلدون : للأستاذ محمد عبد الله عنان
- ١٧ أثر اللغة العربية في العالم الإسلامي : للسردفوسفوس
- ١٨ موسى بن شاكر : للأستاذ فدرى حائط طوقان
- ٢٠ ساجدة غدير : للأستاذ محمد الحقيف
- ٢٠ في الليل : أمين بركات المحبين
- ٢٠ أمة مرد كل شيء : عبد المنى الشناوى
- ٢٢ ظرات في الأدب الفارسي : للدكتور عزام
- ٢٤ الادب الياباني : للأستاذ أحمد الشناوى
- ٢٥ لغة فيلسوف عاشق : للدكتور طه حسين
- ٢٩ الروابي : محمد كوكبا
- ٢٠ غيرة : لعمود محمد منتصر
- ٢١ أسرع ككرة في العالم
- ٢٢ الاقلون أو القوة الزائدة : للدكتور سامي كمال
- ٢٣ بحوث سمائية لاسيالكرومانيها : للدكتور حسين فوزى
- ٢٣ مشاهد غريبة : للأستاذ محمد أحمد المنير
- ٢٨ المأثرة : للكاتب الروسي اسكندر بوشكين
- ٢١ فتح العرب لعمر : للأستاذ عبد الحميد العبادى
- ٢٢ حنى الاسلام : لعمود أبو ربه
- ٢٢ الميام : م . ع . م

باسم مطبعة ق. ق. ق. شارع المدايق بالقاهرة

الموئش المظلم فرجة قد ادخرها القانون لضحايا العدل ؛ فإذا لم تنفع لأمثال دياب قلن تنفع ؟ أن الكاتب الذى يحرق محه وعصبه ليعضى الطريق لشعبه ، وينذى حيوية قومه بعصارة عقله وقلبه ، ولا يتغنى من وراء جهاده غير مرضات وطنه وربيه ، لجدير باحتمال قسوته اذا قسا ، وأغفار زلته اذا زل .

ان خطأ الاجتهاد فى الرأى لا يعتبر جريمة إلا فى اصطلاح القانون الذى تسنه الحكومات له ، فإذا ما انتمت الصدور ، أو تبدلت الأمور ، عاد العمل بالقول المأثور : للجهتد أجران اذا أصاب ، وأجران اذا أخطأ . فإذا كانت جريمة الأستاذ دياب من النوع الذى يحرق هنا ويحلم هناك ، ويوجب العقوبة اليوم ويقتضى المثوبة غداً ، فإن شديداً على الضمير

أن يعامل في سجنه معاملة الجناة والعصاة . فيعيش في غير شكله ، ويشغل في غير شغله . ثم يحرم لذة الجسم فلا يستريح . ومُتعة الروح فلا يقرأ ، وحق المريض فلا يعالج .

درس في يومئذ :

زار صاحباً الجلالة الإيطالية وادينا الحبيب فحلاً في بوعه حلول السعادة ، ونزلاً من أهله منزل الاجلال ، وأفاضاً على عاصمته وصعيده غمراً من سراوة الملك ، ونبالة الخلق ، ثم اختصا فقراء الاسكندرية بقراءة الف جنيه على ما روى المقطم ، فكان هذا العطف السامي موضعاً للتفسير والتأويل ، ومثالاً لاختلاف العقول في الاستنباط والتعليل ، فمن قائل إن صاحب الجلالة أراد تعميم الاحسان في أجناس بني الانسان ، والاسكندرية شبه دولية ، ومن قائل إنه أراد تخصيصه ، وكثرة الجالية الإيطالية ، تنزل برؤس الاسكندرية . والامر في كلتا الحالتين مثل في شرف الغاية ، لأن مبعث التعميم عاطفة الانسانية ، ومبعث التخصيص عاطفة الوطنية .

كهدم طرآني :

ذكرنا في معرض الكلام عن أسلوب الأستاذ محمد بك مسعود أنه (منذ توفر علم حكاكة الأستاذ وحيد في تحقيق اللغة ، ومباراة شيخ العروبة في تمحيص التاريخ ، بدت على أسلوبه الصحيح أغراض الغرابة التي تلازم اللغويين ، والاعتداد الذي يساور العلماء)

وهذا الكلام كما ترى نزهه القصد برى الدلالة . ولكن الأستاذ وحيداً وريث العجاج ، وخليفة الزجّاج قد طوع لنفسه أن يرد عليه في الأهرام بهذا الرد فقال : « جاء في مقال للأستاذ الكبير المفضل محمد مسعود هذا اللفظ « طرآني » فقال له كاتب في صحيفة أغربت في الكلام إغراب وحيد وشيخ العروبة (يعني برهان العلم والأدب احمد زكي باشا)

« وإنني أقول للكاتب الذي رأى القارئون عدوته — بفتح العين واسكان الدال — ليس الطرآني من غرائب

الكلام . وكفى قولاً له أنك تراه من بلاغة اللغة في كتاب الزمخشري « أساس البلاغة » الذي قيل فيه : ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين . قال الأمام الزمخشري في أساس البلاغة : رجل طرآني . وحمام طرآني . لا يدري من أين جاء . وكلام طرآني الخ .

« اجزى . بقول كاتب . ذي عدوة » ماقاله الاعرابي : ليس هذا بغريب ولكنكم في الأدب غرباء . ونحن نقول في دورنالا الأستاذ الجليل : لقد اغربتم فلم نفهم . وأضحنا فلم تفهموا . فإذا كنا في الأدب غرباء ، فأتم في اللغة دعياً . أليس كذلك ؟

وهذا أيضاً !

أخذ صديقنا الأستاذ احمد أمين على بعض كتابنا أنهم اذا تناظروا تحاصموا ، واذاتنا قشوا تشاموا ، ونسى أن يقول كذلك إنهم اذا نقدوا تلبسوا أسبا بالنقد تدل على سوء القصد . وأحدث الأمثلة على ذلك أن الأستاذ (ع . ع) وهو أديب ناب لايتهم في علمه ولا في فهمه . قد كتب في البلاغ بمناسبة ضحى الاسلام يقول مأموداه : إن أدبانا قد استمرأوا (مائدة العراق) فهم اذا كتبوا في الأدب كتبوا عن العراق ، واذا بحثوا في العلم بحثوا في العراق ، ثم نعى على صاحب ضحى الاسلام أن يغفل مصر ، وفيها أنشئ الأزهر ، واليا هاجر العلماء . ولو قرأ الأستاذ الكتاب لوجد فيه فصلاً عن مدرسة الاسكندرية . بل لو قرأ المقدمة لوجد المؤلف يقول : (عيّنت بضحي الاسلام المائة سنة الأولى للعصر العباسي) وفي هذه المائة سنة لم يكن أسس الأزهر ولا سقطت بغداد ! ومن الغريب أن يقول الأستاذ للؤلؤف : إن طول النظر مرض ذكرته الاطباء ، وهو يعلم أن قصر النظر كطوله سواء بسواء !

العدد الأول من الرسالة

اضطررنا لشدة الطلب على هذا العدد أن نعيد طبعه ، وهو يطلب من الادارة رأساً .

خواطر وهوى

المتروك

أعرف رجلاً يعيش رخي الصدر آمن الشرب في دار بهيجة وأسر حبيبة ورققة مخلصين، تلقى ذات يوم كتاباً من صديقين يدعوانه إلى رحلة خارج القصر كانت منذ زمن طويل منتجع خاطره ومهوى فؤاده، فوجد من فرصة الفراغ وجمال الربيع ووافق الخليط مغرياً جديداً بها، ودافعاً شديداً إليها، وكان صديقه يطلبان جواباً حاسماً سريعاً. فوقف الرجل بين الأمرين وقفة المتخير المتحير، لا يدرى أيقظ في هذا المكان المحبوب الذي يستقيبه، أم يرحل إلى ذلك البلد الجميل الذي يستدعيه؟

بدأ تردده هادئاً مقبلاً كهدمة المهد، ثم مال به أن عاد مزججاً مملولاً كاضطراب البحر. كان ترجحه بين الإقامة والظلم أشبه بترجح الزورق على الماء الهادي يدفع إلى الأحلام والأوهام. والمتروك واسع الخيال كثير القروض، فأخذ يقلب الأمرين في خاطره: يوازن بينهما منفردين، ويتمناها مجتمعين، ويطمح أن يدركهما متعاقبين.

أزف الموعد والصديقان ينتظران الجواب إيجاباً أو سلباً. فلا بد أن يخرج من عمارة هذه الخيرة ليكتب إليهما، جلس جلسة الكاتب وأخذ أهت للكتابة. ولكنه لم يكده يقر على الصحيفة يده حتى ساوره الشك فأمسك! وأخذ فكره يتنقل بين المكانين، ويفاضل بين المعنيين، حتى انتهى به التردد إلى إثارة البقاء.

آثر البقاء لأن الصديقين ربطاه بعدة خفيفة، لا بكلمة نريفة، ولأن في التردد جرثومة من جرائم الكسل: المترددون أميل إلى الكف والاحجام، دون العمل والاقدام.

ذلك إلى أن مخيلته الخصبية قد أنبتت له من الذرائع والأسباب ما وافق هواه: كيف يصدق عن مسرة هادئة أكيدة، إلى أخرى جديدة غير أكيدة؟ أنهم يمتدحون ذلك البلد لطيب هوائه وجمال مناظره، ولم يعلموا أن في الرحلة إليه والحلول فيه أضراراً تخاف وتحذر! أين يجد ما يعدل زوجته العزيزة وداره الجميلة وحديقته البهيجة؟ لقد أصبحت هذه الثلاث أجمل في نظره وأجمع لحيره منها قبل ذلك!

أليس من الحق والجحود أن يغطم الإنسان مثل هذه السعادة؟ على أن هذا البلد بعيد الشقة، ولا بد للراجل إليه أن يبيت ليلة في القطار على فراش لا وثير ولا وطيء، أو يعبر البحر متعرضاً لدُواره وأخطاره، وإذا أصابه مرض في الطريق أو في الفندق فماذا تكون عاقبة أمره؟ ذلك فضلاً عن الغذاء الدنيء والمبكن الوبي، والعناء المبرح.

أجمع صديقنا في الأمر رأييه، ووطن على البقاء نفسه، فكتب الكتاب بالرفض ودفعه إلى الخادم ليحمله إلى مكتب البريد القريب، ولكن الخادم لم يكده ينطلق بالكتاب حتى تحرك الشك في نفسه، وتغير المنظر الماضي في عينه، فكأنما سحر ناظره. أو تبدلت مشاعره!

ذلك البسلة الذي استخف به منذ قليل تجلى لعينه في صورة جذابة أنيقة، وتلك الأحاديث العجيبة التي سمعها عنه تواردت على ذهنه تباعاً منمقة الحواشي بسحر جمال المفقود، وحب استطلاع المجهول، ثم تمثلت أمام عينيه فوائد تلك الرحلة وملذاتها، فعاد باللائمة على نفسه! كيف عميت بصيرته عن هذه المنافع جمعاء؟ وكيف اعتاقه عن هذا الأمر مثوبة الاتفاق والنصب؟ إن متاع السفر حي الصحة والقوة والحياة! ولا شيء أذهب للعمر وأقرب للبرء من أن يظل بعيداً عنه محلاً إلى عيشة رغيدة وادعة، وحياة متشابهة بملء تلك فرصة ما يحسب الدهر بمثلاً يعود!

رحلة ممتعة مفيدة وإخوان صدق ملئوا ظرفاً وعلماً
أن ذلك الرفض ضرب من البله والجهل !

تحول ذلك التوتيتخ أسى وحسرة ، وبلغ به الحلق والشوق
والحنجلى حد الهياج والقلق ، فأهوى يده إلى الجرس ،
وصاح بأحد الخدم أن يرد عليه الكتاب وحامله ، فقال
له : أن الخادم يأسدى انصرف إلى وجهه منذ ربع ساعة !
فارتد الرجل كاسفا حزينا ، وانقلب ماحوله مظلماً قبيحاً ،
واستولى الضجر على نفسه ، وأصبح بينه الجبل الرحب أضيق
في عينيه من كفة الحابل ، ثم مال به أن عاد إلى نفسه وأخذ
يفكر في جواب الخادم ، فقرر أن المسافة إلى مكتب البريد
يقطعها الخادم راجلاً في ربع الساعة ، فإذا قطعها هو على سيارة
استطاع أن يوافيه قبل أن يضع الكتاب في صندوق البريد .

وما هو إلا رجوع البصر حتى انطلقت به السيارة يشق صوتها
المزعج زحام الطريق ؛ ولكنه لم يضع قدمه على عتبة البريد حتى
كان الخادم غار جاً منه وقد أنجز عمله . بهت صديقنا وكاد يستلم
للأس لولا أن مر ذكر التلغراف على خاطره ، فبرقت أساريره
وقال : إن الرسالة البرقية تصل قبل الكتاب فتستخه . ثم
أخذ طريقه إلى مكتب التلغراف وبدأ يكتب الرسالة ، ولكنه
ما بلغ الكلمة الرابعة حتى جمدت يده على الورقة ! قال في
نفسه : إن الرسالة البرقية كالكلمة الملفوظة إذا قلت فلن
تسترجع ، وسأكون بها مقيداً مأخوذاً . إلقى القلم وخرج
من المكتب يتنسم الهواء ! وأخذ يمشي أمام الباب ذهاباً
وجيئة وهو يسائل نفسه : أيكتب أم لا يكتب ؟

دقت الساعة دقتين فارتعد وقال : مالى أن تردد ؟ يجب أن
أقطع الرأى ، فإن الوقت وإن طال لا يسع المطال . ثم فكر
وقدر ، فجاء برأى خليط مبهم لم يلبث أن نزل عنه . وظل
واقفاً يتصفح وجوه الآراء ليرى الرأى القاطع نصف ساعة
كان فيها فريسة الهم والضجر !

استنبح من نفسه هذا الضعف الشديد ، فاقبهم المكتب ،
وآتم الرسالة ودفعها إلى العامل وهو يقول في نفسه : سأبعثها
بأخرى إذا بدت لي في الأمر بداية .

ثم انكفأ راجعاً إلى بيته يستند ويتأهب ! وأقسم أن
منظر ذلك البيت الذى يريد أن يفارقه غداً سيحى في مخيلته
صورة رائعة الجمال شديدة السحر . وأن زوجته وكتبه وأزماره

وأشجاره ستملك عليه وجدانه . فلا يمنعه الحجل أن يصبح
ناكثاً ما أمّر وناقضاً ما أبرم !

لعل في القراء من يحمل وصف هذا الرجل على المبالغة ،
ولكننى أؤكد لهم أن مكانه من الصدق مكان صورته للشمسية .
إن التردد مرض من الأمراض لا يثوبه له لندوته .
يصيب المرء في حياته العملية ، فيغل يده ، وبشغل عقله ،
ويتركه فريسة للآلام من ضعفه ، والحجل من صحبه . تظهر أعراضه
في صفار الأمور وكبارها ، فيكون في انتقاء الثوب ، واختيار
الحالة ، وفي الاقدام على الزيارة القصيرة ، والرحلة الطويلة ،
ويدخل في لاذذات الرجل وأعماله ، كما يدخل في إدارته وإقباله .

جرت بين هذا الصديق نفسه وبين زوجته هذه المحاور:
منذ اسبوع ، فأنا أنقلها إليك بنصها لتزداد به معرفة .

قال وهو يهم بالخروج إلى مكان عمله :

— زيتب ! أتشيرين على بأن آخذ مطلقى ؟

— أفعل يا على ماتشاء .

— أظنين أن السماء تمطرنا اليوم ؟

— وما يدرينى ؟

— آخذها والسلام !

— حسناً تفعل .

— ولكنها تضايقنى إذا لم تمطر السماء .

— دعها إذن !

— ولكن المطر إذا نزل بلل طربوشى وثوبى .

— خذها إذن !

— ماهذه الحماة ؟ وما هذا التردد بين الأمر والنهى ؟

ليس للشير إلا رأى واحد ! فهل ترين أنى أحسن
إذا أخذتها ؟

— نعم !

— سأخذها إذن .

— ولكن الهواء دافى . والسمامصحية ، وأخشى إذا دام

الجو كذلك أن أذهل عنها فأفقدتها : سأتركها قطعاً !

ثم سار يريد الخروج فلقحها معاقبة على المنجب فأخذها

وهبط السلم ذاهلاً ، متباطئاً ، حتى بلغ البواب فدفعها إليه .

أحمد حسن الزيات

سائح الزاهدان

تراثنا القديم

للأستاذ أحمد أمين

خبرنا أثرنا في النفس أبلغ التأثير ، وآثارنا في القلب كوامن الآسى والأسف .

أولها أن أدبياً كبيراً ، وخطيباً خطيراً طلب من إحدى المكاتب القاموس المحيط للفيروز آبادي ، فأرسلته إليه ، فاستقام إياها ثم رده شاكراً لأنه لم يستطع أن يعرف طريق الكشف فيه ، وإذا استطاع فلا يفهم ما يقول ، ولا يتبين ما يشرح . لذلك يعتز عن شرائه ويطلب بدلاً منه معجماً من المعاجم الحديثة ، كما قرب الموارد ومحيط المحيط ، والبستان ، لسهولة الكشف فيها ، ووضوح القصد من معانيها .
والثاني أن مجلساً من مجالس المديرية قرأ نشاء مكتبة يتردد إليها طلبة المديرية ومنتقوها وعهد إلى بعض رجاله اختيار الكتب الصالحة فلم يختار فيما اختار كتاباً قديماً كالقاموس المحيط ولسان العرب وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والأغاني والعقد الفريد ونزهة القلب ، وإنما قصر اختياره على ما أنتجه الأدباء المحدثون من روايات وقصص وتاريخ حديث ، وأدب من الوزن الخفيف .

واعني ما في هذين الخبرين من دلائل مؤلمة ، وما يحملان من نتائج خطيرة : دلالة الخبرين أن تيار الفكر إنما يسير نحو الثقافة العصرية ، وأن المثقفين إنما يعتنون على ما تخرجه المطابع من آثار للثقافات الأجنبية ، فامثالنا القديم وما فيه من ثراء ضخم قنبوا عنه أذواق الناشئة ومن يقودهم ويختار لهم . ولا يقبل عليه إلا المستشرقون وأمثالهم من علماء قليلين يسرون نحو الفناء ، دون أن يخلف من بعدهم خلف يقوم على هذا التراث فيحفظه ويستمره .

ولهذه الظاهرة أسباب أهمها :

أن هذه الكتب جارت عصرها ولم تجار عصرنا ، فالتعبير معقد والمعنى غامض ، والتأليف مشتت . والمصطلحات جامدة ، والأمثلة واحدة فقطع هذا كله الصلة بين القديم والحديث ، ولم يستطع أن يفهم هذه الكتب القديمة إلا من نشأ عليها ، وانفق أكثر العمر

في فهم عباراتها ، وحل معيبتها . وكثير منهم وقف عند الفاظها ومصطلحاتها ، ولم يسمف الزمان بالتغلغل في أعماقها . واكتفاء أسرارها . واستخراج كنوزها . فلما نشأ الجيل الجديد وقد تعلم أول أمره في رياض الأطفال ، وأسست هذه إلى مدارس ابتدائية وثانوية يجتهد مدرسوها أن يعلموا على أحدث طرق اليدا جوجيا . ويقرأ تلاميذها في كتب ألقت على غرار الكتب الأوروبية في الشكل والموضوع ، أصبح الخريجون لا يربطون جديدهم بقديم آباءهم وصارت الكتب الأوروبية أشهى إلى نفوسهم وأقرب إلى عقولهم من كتب الأدب العربي والفلسفة الإسلامية ، وكتب القانون الفرنسي أحب إليهم من كتب الفقه الإسلامي وهكذا . وهم إذا نظروا في هذه الكتب العربية مزئواها وضحكوا منها ، فإذا وقع نظرهم في الفقه على تحديد ماء الطهارة بأنه عشر في عشر بذراع الكرباس ، قالوا مالنا ولذراع الكرباس ؟ إنما نعرف الذراع البلدي والذراع المعماري ، وإذا رأوا نظام أخذ العشر قالوا ماذا يقابل ذلك من نظام الضرائب والجمارك ؟ وإذا نظر الأطباء في كتاب القانون لابن سينا وقفوا أمام أحاجي لا طاقة لهم بها . وإذا نظر الأدباء في الأغاني والعقد رأوا أمثالها رأوا شراً كثيراً وخيراً قليلاً وكان ما فهموا أمزج ما لم يفهموا .

الحق أن هذه مشكلة كبيرة تحتاج في علاجها إلى مهرة الحكماء ، وأن ما في كتب أسلافنا من ثروة يحتاج إلى عمول كبيرة نضع منها قواماً للاستفادة منها .

ونحن بين اثنين : إما أن تخصص منا طائفة صالحة لترجمة ثروتنا القديمة إلى لغة العصر وروح العصر وأسلوب العصر ، فيستطيع ناشئنا أن يضعوا أيديهم على تراث آباءهم ، وإما أن يتقفأ كبر عدد يمكن بنوع من الثقافة الشرقية القديمة ، فضلاً عما عديم من الثقافة الحديثة ، فيجمعوا إلى موارد الأجنحة الموارد العربية ، ويخرج نتاجهم متشعباً بالروحين ، مستمداً من الثقافتين .

فإن لم يكن هذا ولا ذاك خشيتم بعد قليل أن تصبح كتبنا القديمة غير صالحة إلا للأرضة قبيح فيها والعنكبوت ينسج عليها ، ويكون شأننا معها كما قال أبو العلاء :

سبأل قوم ما الحبيج ومكة . كما قال قوم ما جديس ومناطم

اسكندر يقتل صديقه!

للدكتور عبد الوهاب عزام

اسكندر العظيم يثبت عرشه وسلطانه وهيبته وكبرياه
في مقدونية واليونان، ثم يتوجه تلقاء آسيا.

الفريقان من اليونان والفرس يلتقيان على نهر (كرانيكوس)
الصغير عام أربع وثلاثين وثلاثمائة. فيتناح لاسكندر
أول فتح في آسيا، وتخضع له المديان حتى سرديس. فقد
دانت له آسيا الصغرى كلها.

ثم يتقدم صوب الجنوب. فيجتاز طوروس ويسير تلقاء
الشام. وإذا بجيش دارا، الجيش اللهم الذي لا يغلب من قلة
رابض في طريقه. وفي سهل إسوس الضيق بين الجبال والبحر
تردح مئات الألوف في المعترك، ويسقط في البحار مائة ألف
من الفرس، ويفر دارا وينهب معسكره، وتؤسر أمه وزوجه
وأبنائه. فانظر اسكندر قد قهره الملك الأعظم، ملك الفرس الذين
طالما فخر اليونان بأنهم احتملوا صدمتهم. وردوهم عن بلادهم!!
يتقدم الفاتح العظيم فيقهر مدن الشام، وتقاومه صور
وتجدي جبروته وسلطانه، ثم تخارمهم بعد حصار سبعة أشهر.
فيقتل منهم ثمانية آلاف، ويؤسر ثلاثون ألفا يباعون عبيدا.
ويصلب على القلاع ألفان عبرة ونكالا. ذلكم اسكندر
الفاتح العظيم، وذلكم جزاء من يقب في سيله!

ويفتح اسكندر مصر عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة.
ويرفع نسه الى أمون. ثم يجمع جنده ويسير الى العدو
الأكبر الملك الأعظم. بجتاز الفرات ودجلة الى حيث يعسكر
دارا. وهنالك على مقربة من أطلال نينوى العظيمة التي تدب
بجد آشور الغابر، وعلى سبعين ميلا الى الشمال والغرب من
مدينة أربيل، ليس بعيدا من ملتقى عبد الله بن علي العباسي،
ومروان بن محمد خاتمة الخلفاء الأمويين، حيث سقطت دولة
وقامت دولة هنالك كما رأى الجمعان، وعسكر اسكندر تجاه دارا.

ويشير (برمينيو) على الفاتح المقدوني أن يهاجم عدوه ليلا.
فيأتي مجد اسكندر وكبرياؤه، فيقول له: «أنا لا أسرق النصر».
ثم يلتقي الجمعان. وتدور النائرة على دارا، وجنوده، فيفر
صوب المشرق. أرايت بابل العظيمة مدينة السحر والعلم؟
ها هي تفتح أبوابها لاسكندر ويباركه كهنتها. ويطوى الملك
الشاب المراحل الى سوس واصطخر حاضرتي الفرس.
لا يصمد لمدينة الا فتحها، ولا يعتمد لجيش الامزقة.

تتمد الفتوح والآمال والنشوة والكبرياء بـاسكندر الى
ما وراء النهر في طريقه شطر الهند، بعد أن طارد دارا حتى
عثر به في الطريق قتلا.

اسكندر العظيم في مدينة سمرقند عام سبع وعشرين
وثلاثمائة. قد طوى المراحل والممالك ما بين مقدونية ونهر
سيحون. ينعم هنالك بالشباب والظفر والملك الفسيح.
والكنوز التي لا تحصى، والجند الذي لا يعد. اسكندر الآن
أعظم ملك في العالم كله!

ويدعو أصحابه وقواده الى مأدبة في سمرقند. فيأكلون
ثم يدور الكأس حتى يشمل القوم أويكادون، ثم ترع للملك
المظفر كؤوس من الاطراء والاعجاب والاحلال والاكار.
ويغلو المتملقون المعجبون فيرفعونه فوق الأبطال جميعا.
ويدعون أن أعماله المعجزة لا تكون الا عن نسب آلهي، بل
يرفعونه الى مستوى الآلهة كهرقل. ويشارك الملك الشاب
في اعظام مآثره والاعجاب بها. ثم لا يقنع بما فعل، فيجعل
لنفسه ما نال أبوه من ظفر في آخر عهده. وينفض من فيليب
وان كان أباه!

يسخط المقدونيون من الزرابة يطلمهم القديم، ولكنهم
لا ينبسون. و(كليتوس) رابض ينظر الى اسكندر وما دحبه
ساخطا محمقا. كليتوس أحد قائدي الفرسان، كليتوس الصديق
القديم أخو(لانيس) حاضنة اسكندر التي قتل اثنان من أبنائها
تحت رايته، كليتوس الذي نجى اسكندر في معركة كراتيكوس

حين أبصر أحد الفرس يهوى بسيفه الى الملك من خلفه
فسارع كالبرق فضرب السيف ففقد دون رأس الملك .
كليتوس هذا لم يسطع صبرا على الفرس من فيليب اقال كليتوس :
ما هؤلاء المادحين يضعون أقدار الفارين ليرفعوا عليها مجد
الحاضرين ؟ ان فيليب كان عظيما ! — ثم تأخذه الحدة فيقول :
ليست مآثره دون مآثر ابنه الا . ان مآثره لا عظم . فقد
خلق الرجل لنفسه ملكا وجيشا . وانما صلت أيها الملك بما
أورثك فيليب من ملك مهد وجند مدرب . انما ظفرت بفضل
هؤلاء المقدونيين الذين تحفرهم اليوم وتقدم الفرس عليهم .
الم تقتل برميون العظيم ؟

هاج الحاضرون وقذفوا كليتوس بالجدل والتوبيخ .
وثار ثائر اسكندر الفتى الفاتح الذي سخر ملك مصر وبابل
وأشور وفارس ، اذ قرعت أذنه لأول مرة نياة نافذ يعترض
كلامه ويرد عليه دعواه . غضب اسكندر وصاح بكليتوس
يزجره ويحاده ، وانحاز الحاضرون للملك المعجب بنفسه ،
وكليتوس كالأسد يزجر ويرد الكلبة بمثلها ، ثم يتفرض قائما
ويصيح مادا يده الى الملك : اذكر أن حياتك دين لهذه اليد
التي نجتك يوم كرايكوس ! وأصخ لصوت الحق الضراح ،
أو تجنب دعوة الأحرار الى مآذيتك ، واختص العيد بصحبتك !

اهتاج اسكندر لموقف كليتوس ولذكرى كرايكوس
وبرميون ، فنهض يتحس خنجره ، فاذا الخنجر بعيد قد نجاه
أحد الحاضرين . فينادي الحرس مغضيا هائجا ويأمر أن ينفتح
في الصور ابدا نال الجند ، فاطاع أحد أمر الملك الهاج النشوان ،
وتقدم نحوه جليموس (دبردكاس) القائدان الكبيران فأحاطا
به وأمسكاه برفق يسكنان ثورته ، ويكران حدته ، ويحيط
آخرون بكليتوس يخرجونه من الهوى ، فيأبى أن يخرج فيعترف
بأنه أساء واعتدى . ويقول اسكندر : ، وأسفا ! إن قوادى
قد علوني كما فعل بنوس بدارا . وانما لي من الملك اسمة .
ويتقدم اسكندر تلقاء كليتوس ، ولا يجرؤ القواد أن يقفوه
فسرا ، ثم يقض كالصاعقة فينتزع حربة من أحد الجند فيغمدها
في صدر كليتوس الصديق القديم !

يرتاع الحاضرون ، ويفيق اسكندر من نشوته وثورته

وعجبته . فيفتح عينه فاذا كليتوس طريق يضطرب في دمه .
خرج اسكندر من الهوى بعد وال فراشه ، فارتقى عليه ثلاثة
أيام لا يأكل ولا يشرب . يبكي بدموع عزت على الخطوب
الشداد ، وغلت في الحوادث السود . ويتهادى به البكاء . وكلما
كف كف دمه تمثل له صديقه ضامنا يده . ويلعن نفسه نادما .
ويهتف باسم كليتوس وأخته لانيس . ثم يقول : ويل ! أنا الغادر
الكنود . لقد جزيت كليتوس ولانيس شرا بما أحسننا الى .
لست بعد اليوم جديرا بالحياة .

ويجتمع اليه صحبه يعزونه . ويسوغون ما عمل . فلا يزداد
الا حزنا واكتئابا وندما وأسفا . ويجمع الجند المقدونيون
فيجمعون على أن كليتوس قتل بحقه . وأنه ينبغي ألا يدفن .
فيغضب اسكندر ويقول : كلا ! انه سيدفن بأمرى . ويأتى الكهنة
فيقولون : ان الملك لم يقتل صديقه يده . ولكنها نعمة من الاله
(ديونسوس) أجراها على يد الملك انتقاما لنفسه بما حرم القربان
في هذه المأدبة . ثم يأتى الفيلسوف (أنكشرخوس) فيقول :
أيها الملك ان الذى أنت فيه لعجز . وانك أيها الملك العظيم
والفاتح القاهر لجدير بأن تحل وتحرم وتحق وتبطل بإرادتك
لا أن تخضع للقوانين انى سنها الناس . ثم يأتى كليتوس
الفيلسوف فيجهد أن يهون على الاسكندر ما فعل .

فارق اسكندر مضجعه بقلب كليم اجابة لنصحاته وإجابة
لواجبه في هذه البلاد النائية . ولكن أخيب الجرح قد ذهب
مع اسكندر الى قبره !

اسكندر العظيم لم يعظم عليه مطلب ، ولا بعدت على همة
غاية ، ولا ثبت في طريقه دولة ، ولا وهن قلبه في سلم ولا
جرب ، ولكن اسكندر الفاتح القاهر ، والملك المسلط ، لم يحتمل
وخزة واحدة من وخزات الضمير . فخر كالطفل يبكي ويتملل .
وكاد ييخع نفسه فرارا من الندم !

ان عذاب الضمير هو العذاب الأكبر ، ولكن لا يعرفه
الا ذور الضمائر ، وقليل ما هم !

لله در كليتوس ! لقد ذهب مثلا في الوفاء ، وابن في
الدنيا الاوفياء ؟

ولله در كليتوس صريع الوفاء . اوقفه در اسكندر صريع
الوجدان !

مجمع البحور وملتقى الأوزان

للدكتور محمد عوض محمد

نحن بنا . كلما دخل الأدب العربي في طور جديد . أو ظهرت فيه بدعة جديدة . أن نقف لحظة لتحقيق أمر هذا الطور الجديد . وهذا المنهج الذي يريد بعض الأدباء أن يتبعه . وندعي أن السكائن الخي يجب أن يكون في تبدل أبدا وفي تحول . لكن يجعل بنا من أن لأن أن نقف قليلا لتحال هذه الاتجاهات الجديدة . لكي تكون على بصيرة من أمرنا ، ولكي نمشي على علم وعدى . فان بعض السبل الجديدة يؤدي إلى الخير . وبعضها لا يقضي إلى شيء .

وقد ظهر في عصرنا هذا ضرب جديد من الشعر . لم يعرفه الأوائق ولا الأواخر . ولا نعرف في شعراء الشرق من عرب وترك وفرنس من نحا هذا النحو . ولا في شعراء الغرب في الأدب الانكليزي والفرنسي والالمانى ، ممن له شأن وخطر . من سلك هذا السبل . وإن كان بين قراء (الرسالة) من يعرف شاعرا ذا شأن طرق هذا الباب من قبل . فقد بسرنا أن نعلم عنه ما جهلناه . أما هذا الضرب من القريض — وقد سبناه بمجمع البحور — فانه يسوغ للشاعر في المنظومة الواحدة والموضوع الواحد . أن يجمع بين ماشاء من بحور الشعر . بلا قيد ولا شرط . فينتقل كما يشاء . من الهوى من وزن إلى وزن بلا سبب ظاهر وبدون أية قاعدة مفهومة أو غير مفهومة . فيبدأ منظومة بالتحفيف مثلا . ويمضى فيه إلى بيتين أو إلى أبيات . ثم يخرج على البسيط فينظم فيه أيضا بيتين أو ثلاثة . ثم يميل فجأة إلى الرمل ثم إلى السكابل . وهكذا لا . إلى ينتقل من بحر إلى بحر . ويثب من وزن إلى وزن . والمنظومة واحدة والموضوع واحد .

ليس من شك في أن هذا الضرب من الشعر جديد . ولو أن المنفى . وهو الأمر الناهى في مملكة القريض . قيل له إن فلانا ينظم القصيدة الواحدة فيجعلها من بحور شتى . فقال لحدثه : يا هذا إن شاعرك مثلك كمثل الطامى الذى يحاط الحلو بالحامض . والمائع بالجامد . والرطب باليابس . والصاب بالشهد : ثم يرجو بعد هذا أن يكون فيما طهاه شفاء . وغذاء .

مفهوم أن يكره الانسان التقييد بالقيود من أى نوع كانت . والنفس تنور من آن لأن . تحاول نحططم السلاسل التى تقيدها وتمنعها من ارتباد منهل الحرية عذبا نعيها . وقد رأينا منذ زمن كيف

ابتدع بعض الشعراء نظم القريض مرسلا . من غير قافية ثابتة : لكن مع الاحتفاظ بالوزن . وكان لهذا الضرب من القريض أصداره . الذين نادوا في الناس بأنه سيرقى بالشعر العربي إلى سماء ما طاولتها سماء . ثم لم تلبث تلك النار أن باخت . وتلك الأصوات أن خفت . وأصبحنا اليوم وأكثر الأدباء متفق على أن إرسال القافية لا يلائم الشعر العربي : فلم نكد نعلم بتلك الحرية حينما حتى عدنا بأنفسنا طائعين إلى حمل السلاسل والأغلال . مضحين بتلك الحرية العروضية التى لم نتج لنا إلا كل فائر تمججه النفس .

ثم جاءت بعد هذا بدعة أكبر وأخطر . وهى بدعة (مجمع البحور) التى وصفناها . وما يؤسف له أن يكون شاعر من أجل الشعراء شأننا وهو . شوقى . على ما به من قدرة ومكانة . وهو الشاعر ذو النفس الطويل . الذى ما كان يعيه أن ينظم فيطيل ماشاء الأطلالة . وهو الذى نظم (صدى الحرب) و (مقدونيا) و (نهج البردة) . انه برغم هذا رأى ألا يلزم وزنا واحدا في رواياته التى كتبها أخيرا . فأحيانا كان شخص من أشخاص الرواية يسأل السؤال في وزن . فيرد عليه بوزن آخر . وكثيرا ما ينتقل المتكلم إلى وزن جديد . وموضوع الحديث لم يتغير .

لقد قيل ان لثوق في ذلك أسوة بكبار الشعراء الروائيين أو القصصيين . وهذا ليس بصحيح . فان جميع روايات شكسبير من وزن واحد وهو المسمى Iambic Pentameter وملحمتاهوميروس كلتاهما من بحر واحد . والفردوس الضائع لمتون كلها من وزن واحد . والشاهنامة والمنوى كلها ذات وزن واحد . وبرغم ما قيل وما يقال عن روايات شوقى . فان كثيرا من الناس يقر بأن هذا الأكتار من الأوزان قد أنقذها قسطا كبيرا من الحسن .

ونحن نسوق هنا على سبيل المثال قطعة من (قبسيز) وهى الرواية التى تفوق صواحبا في هذا الأمر .

جاء في المظر الأول من الفصل الأول الحوار الآتى بين تناس وعمها فرعون (أمازس) :

تناس : تقرت بأنى المسير هبلى مكانها منك يا أمازس
فرعون : أنت التى تذهين

تناس : لا ؟

فرعون : هذا هو النبل يا تناس (١)

نح بخ بنت أخى (٢)

تناس (فى استنكار) : أنت يا قاتل عمى

لا . . أبى أبى وأمى (٣)

فى هذا الحوار القصير الذى يتألف من ثلاثة أبيات . ومصرع

فلسفة برجسون

الأستاذ زكي نجيب محمود

تورته على المادة

كثيراً ما يبدأ الفكر الإنساني بدراسة نفسه . ثم ينتهي إلى إحدى نتيجتين : فهو إما أن ينظم العقل في تلك المظاهر العادية التي تخضع للقوانين الآلية الصارمة . ثم ينصرف بناءً على ذلك إلى دراسة الوجود المادي بما فيه من صور وأوضاع : وإما أن ينتهي إلى إنكار ذلك الوجود المادي جملة وتفصيلاً . واعتباره من خلق العقل وتكوينه . ثم ينتج على هذا الأساس إلى دراسة العقل وحده . لأن في دراسته دراسة للوجود بأسره . مادام ذلك هو الذي خلق هذا خلقاً . وأنشأ أنشأ .

إذاً قد انقسم الفلاسفة قسمين مختلفين : فريق ينصرف بأسره إلى العلوم الطبيعية لأنها السبل إلى تفهم مظاهر الكون . وفريق يسلك على دراسة النفس انكباً . لأنها هي كل شيء . ونحن نستطيع أن نقول في شيء من الدقة إن تاريخ الفلسفة الحديثة ينحصر في هذا الصراع العنيف القائم بين علم النفس والعلوم الطبيعية . فهذه نشأة الحقيقة في دراسة الظواهر المادية . وقد ترى في طريقها من يوارق الأمل الباسم ما تمنى معه في بحثها ثابتة اليقين موطدة العزيمة . وذلك يلتمسها بدراسة النفس دون المادة وهو مؤمن أن ليس أقوم من تلك السبل سبيل

ولكن جاء القرن التاسع عشر . فأنزعج ذلك المجرى الفكري بعض الشيء . واتجه إلى دراسة المظاهر المادية اتجاهاً مباشراً . دون الوقوف على هذه النفس الإنسانية وقفة تحليلية . ولعل ذلك راجع إلى أن الإنسان قد خيل إليه أن العلوم الرياضية والميكانيكية وما إليها . هي التي دفعت به في العصر الحديث هذا الدفع السريع . وله عذره في هذا الظن . مادامت الصناعة التي تدور أرحاؤها في أوروبا . والتي قامت الحياة رأساً على عقب . هي ربيعة تلك العلوم . . . إذا فلماذا لا تدرس هذه العلوم الطبيعية دون سواها ؟ هكذا اصطفت الفلسفة في القرن الماضي بصفة مادية . وذهبت في الفضاء صبة ديكارت التي ألح بها في أن تبدأ الفلسفة سيرها من النفس ثم تابع طريقها إلى العالم الخارجي .

انطوى القرن التاسع عشر أوكاد . فبدأ الإنسان يقيق بعض الشيء من تلك الفتنة التي أخذتها الانقلاب الصناعي . وأخذ الفكر ينزع عن نفسه شيئاً فشيئاً ذلك الثوب المادي الذي اشتبه واحتواه حيناً من الدهر . ويبحث عن حقيقة الوجود في الحياة . التي تدب

واحد . ثلاثة أوزان (١) مخلص البسيط ومنه البتان الأولان (٢) وتجزؤ الرجز ومنه المصراع الذي يليهما . (٣) ثم تجزؤ الرمل ومنه المصراعان الأخيران .

وقد يرى بعض الناس أن من الغلو في الحجة أن يكون أحد المصراعين في البيت الواحد والثاني من بحر آخر . ولكن في الحق أن هذا هو الطور السطحي لجميع البحور . فإذا كان مستحسناً أن يغير الإنسان الوزن بعد يثنين أو ثلاثة . فليس هناك معنى لأن يتمتع المرء عن تغييره في كل مصراع . بل وفي أقل من مصراع . وقد فعل ذلك أحمد الأفاضل في الجزء الثالث من (أبولو) في قصيدة من هذا النوع عنوانها (الشراع) جاء فيها :

وانزع عنك كساء الليل ثوباً : (رمل)

شعباً (٤)

تحسك اللجة السحيفة تدوى (خفيف)

فوقك اللانهاية الأبدية (هـ)

وأمامك الأفق البعيد يضل (كامل)

والفقاري الذي يهيم هذا الضرب من الشعر يجب أن يرجع إلى هذه القصيدة لأنها خير مثال له بين أيدينا . ولولا ضيق المقام لتمثلنا بكثير من أياتها .

وقد جاء في العدد الرابع من الرسالة منظومة للشاعر الناضل أيلاً أبو ماضي عنوانها الشاعر والسلطان الجائر . وقد أعجبنا بما فيها من خيال بديع . وكان افتتاحها بنوع خاص منبأ بأن المنظومة من اندور الغوالي . إلا أن هذه الدرر كانت ذات نظام محتلط إذ جعل الشاعر يغير من وزنها ست مرات أو سبعة . فلا تكاد الأذن تطمئن إلى نغمة . حتى يستبدل بها نغمة تخالفها وتغايرها . والذين اكتفوا بقراءة القطعة الأولى حكموا بأن القصيدة من أحسن الشعر : وأما الذين قرأوها إلى النهاية فقد أسف كثير منهم على أن الشاعر قد أفقد المنظومة حسنها لهذا الاضطراب في النظم : لأن شكل بحر أتراخاها في النفس . وهذا القلب السريع مما يرجع الخاطر . وينفر الأسباع .

لنا حاجة لأن نسر القاري أمثلة أخرى تدل بها على هذه الظاهرة الجديدة . التي بدت في كتابات بعض الشعراء . وليس من شك في أن (مجمع البحور) هذا سيكون شأنه شأن الشعر المرسل . سينادي به بعض الكتاب حيناً . وقد يستعمل أمره زماناً ما . ثم لا يلبث أن تخمد جذوته . ويذهب كما ذهب أخ له من قبل .

في انحاء الكون. لاني حركة القصور الذاتي التي تنظم الجماد. وما زال الفكر يعم في هذه النزعة الجديدة حتى كادت الحياة تعب في المادة نفسها. واصطفت العلوم الطبيعية بصيغة حيوية. وهكذا كتب لها أن تلقى السلاح وتندحر أمام علم النفس فيانشب بينهما من عراك.

ولعل شونهور هو أول من فطن الى ان الحياة هي أساس الوجود؛ ثم جاء برجسون في عصرنا الحاضر وتناول هذه الفكرة بحثا واستقصاء. حتى استطاع بقوة إيمانه أن يجذب اليها انظار هذا العالم الذي طغت عليه روح اللاأدرية والشك طغيانا مروعا. عكف برجسون على دراسة المذهب المادي، وخلاصته ان العالم كتلة موات من المادة والحركة. وان الحياة والفكر وكل خصائص الانسان ليست سوى اعراض مختلفة لتفاعل المادة والقوة التي تحرك دقائقها. فكان كلما أبعث في تلك الدراسة. ازداد يقينا بفساد ذلك المذهب. وهو يتساءل في دهشة: اذا كان العقل مادة وكانت كل عملية عقلية عبارة عن هزة عصبية لا أكثر ولا أقل. فما فائدة الشعور؟ أليس مجرد وجود الادراك دليلا قويا على ضرورته؟ يقول المذهب المادي أن ليس ثمة حياة ارادية. أي ليس في الوجود تلك القوة الحيوية التي تريد هذا فتعمله. ولا تريد ذاك فتنبذه. وكل ماها لك حالات مادية متتابعة. كل حالة نتيجة لما قبلها ومقدمة لما بعدها؛ وهنا يتساءل برجسون: اذا كان الوجود وما يحوي في لحظة معينة نتيجة آلية للحظة التي سبقتها. دون أن تكون هناك قوة مدركة تقي. وتكون وتختار. واذا كانت تلك اللحظة السابقة بدورها أثرا لآلية التي سبقتها. وهكذا دواليك. فمن اذ سنير في هذا التسلسل حتى نصل الى السديم الأول. ونحذ منه سيرا لكل ما طرأ على الكون من أحداث. لافرق بين دقيقها وجليلها ماذا؟ هل يريدنا ذلك المذهب على أن نعتقد بأن السديم هو اليب فيما كتبه شكسبير مثلا؟ وأنه العلة في خطابة أنطوني وهملت؟

هكذا أخذ برجسون من منطق الماديين ما يكفي وحده للرد عليهم ودك مذهبهم من أساسه

العقل والجسم

لعل ما حدا بالانسان الى النزعة المادية في تفكيره هو ارتباطه بالمكان ارتباطا وثيقا. حتى خيل اليه أن الحياة ليست الا هذه الصور المكانية التي يحسها؟ ولكن الحق الذي لا ريب فيه هو ان جوهر الحياة وروحها اما ينحصران في الزمان أكثر مما يتعلقان

بالمكان: والزمان في الواقع عبارة عن تراكم صور كونية بعضها فوق بعض. أو ان شئت فقل صورة كونية واحدة امتدت على طول الزمان وأخذت تنمو وتزايد شيئا فشيئا. ومعنى ذلك أن الماضي من بدئه الأزل لم يكن. وانما أخذ يتقدم فتزايد أحداثه قليلا قليلا الى أن تضخم فكون الزمان الحاضر.

واذا كان الزمان عبارة عن مجموع الصور التي مرت على الوجود فيستحيل أن يكون المستقبل مشابها للماضي. لاني كل خطوة زيادة تضاف الى تلك الكومة المتراكمة. وفي كل دقيقة ينشأ شيء جديد ليس نتيجة لمقدمة سابقة ولكنه خلق خلقا ولا يمكن استنتاجه قبل حدوثه. فالتغير سنة الحياة وألزم صفاتها

والذاكرة عند الانسان هي الوعاء الذي يمتد مع الزمن فينحزن فيه هذه الصور المتراكمة المتزايدة. لكي تكون لنا عونا في حياتنا. اذ كلما اتسعت دائرة الحياة اتسع معها نطاق الاختيار. أي يمرض للانسان مؤثرات عدة تستدعي منه سرعة اختبار للتلبة المناسبة لكل من تلك المؤثرات. وهذه المؤثرات ونلياتها تكون في الانسان ادراكا يتعين به في كل ما يتعرض له من مشكلات فالكائن الحي كتلة فعالة مؤثرة. لأنه يضيف الى العالم قوة ونشاطا. وليس الانسان كما صورته الماديون آلة ميكانيكية لا حول لها ولا قوة. يتفعل ويتأثر بعوامل البيئة دون أن يكون مركزا للخلق والزيادة. فحي قولنا ان الانسان مدرك لما يعمل اعتراف ضمنى بحرية اختياره.

قلنا ان وظيفة الذاكرة هي استدعاء الصور الذهنية التي مرت بنا في التجارب الماضية مقررة بما سبقها وما تلاها. فتسكن بذلك من الحكم في المواقف المشابهة التي قد تعترضنا. حكما صادقا. ولكن لذاكرة فوق هذا عملا آخر. فوساطتها نستطيع أن نستوعب الخلود بأسره في دقيقة واحدة. وفي ذلك تحرير لنا من قيود الضرورة الطبيعية التي تخضع لها الأشياء الجامدة. يخطئ اذاً من يحسب الانسان آلة صماء. في يد القوانين المادية. انما هو كائن مدرك. حر الارادة. قادر على اختيار سلوك معين؛ والاختيار خلق وإنشاء. فليس الانسان رتينا في حياته كالحبوان المحدود بفرائزه.

واذا فليس العقل والمخ (أي الجسم) شيئا واحدا؛ صحيح ان الادراك العقلي يعتمد على المخ. يسمو وينحط تبعاً لسلامة هذا أو انحطاطه. ولكن كما تعتمد ملابسك على المشجب. تظل عالية مادام المشجب مثبتا في الحائط. وتهوى اذا ماسقط من مكانه. وبديهي أن ذلك لا يدل على أن الملابس والمشجب شيء واحد. فالخ مجموعة من التصورات وردود الأفعال. أما الادراك

هو تلك القوة التي تختار من بين تلك المجموعة ما تريد . المنح هو الجرى الذي يسير فيه تيار الادراك ، ولكن ليس الماء . وجرأ شيئاً واحداً . وأنت بكل ذلك محدوداً بهذا ، ولا بد له ان يخضع لالتزاماته وتعاريفه .

وإذا كان هذا هكذا ، فما الذي حدا بنا الى الاعتقاد بأن العقل والمنح شيء واحد ؟ لعل ذلك راجع الى أن جزءاً من عقولنا ، وهو ما نسميه بالذكاء ، قد نشأ وتطور لكي يمارس الأجسام المادية ويفهمها ، فاكسب من هذا الميدان المادى كل تصورات وقوانينه . وهكذا أخذ الارتباط الذهني بين العقل والمادة ينمو شيئاً فشيئاً ، حتى انتهى بنا الأمر الى الظن بأنهما شيء واحد ؛ ولكن هذا الذكاء الذي يكشف لنا عن العلاقات التي تصل المظاهر السكونية بعضها ببعض ، عاجز كل العجز عن ادراك الامتداد الزمني وما يمر من فيه لتلك المظاهر من تغير وخلق ، أو عبارة أخرى هذا الذكاء الذي يفكر في الصور المادية لا يستطيع أن يدرك ما في الكون من حياة ، لأنه يلتقط صوراً متلاحقة بعضها يحى في أثر بعض ، أى انه يلتقط صورة الكون في هذه اللحظة ، ثم صورته في اللحظة التي تليها . ثم صورة ثالثة في التي تليها وهكذا . ومعنى ذلك أن العالم الخارجى في نظر العقل عبارة عن جملة صور لحظية تملأ كل صورة منها الكون بأسره ؛ هذه الصور تدر الواحدة منها الأخرى لحظة بعد لحظة ، وكل صورة لحظية من هذه الصور تمثل الحقيقة الخارجية في لحظة من اللحظات . ثم من تابعها يتألف مجموع الحقائق الخارجية من أول الماضي الى آخر المستقبل . الا أن تلك الصور تظل مستقلة في المدهى ، لا يتناولها الاستمرار أو الحركة التي تربطها جميعاً . مع ان الحياة ليست الا في وصل هذه الصور انجزاة . مثل العقل في ذلك . كتل الشريط السينمائي الذي يلتقط عدداً من الصور المتلاحقة ، لاحياة في كل منها على حدة ، فإذا مادبت فيها الحركة والاستمرار ، وانصل بعضها ببعض ، كونه حياة ، أو شيئاً يشبه الحياة . ولن يكون في هذه الصور التي نصلها عن طريق الجواس شيء من الحياة ، حتى يتناولها تيار الحركة الدائم الذي يربط أشناتها ويكون منها حقيقة واحدة بطلاً عليها التغير والتبدل كلما مر عليها شطر من الزمان

صحيح أن كل صورة حيه هي جزء من الحياة ، ولكن مجموعها لا يكون مجموعة الحياة ، الى أن يتحقق في أجزائها شرط الاتصال والربط ، فكما أن كل جزئ من الخط المحقى يمكن أن يكون جزءاً من خط مستقيم بدليل أنها يتماسان في أي نقطة شئت . ومع ذلك لا نستطيع أن نقول : بما أن أجراً . هذا هو أحراً ذلك . ان فالخط

المنحنى هو الخط المستقيم ؛ كذلك قل في الحياة والمظاهر الطبيعية . فليست الحياة هي مجموعة المظاهر الطبيعية ، على الرغم من أن تلك المظاهر هي الجزئيات التي تتكون منها الحياة .

يستنتج من هذا أن العقل ليس هو الأداة الصالحة لأدراك الحياة . لأن هذا يتطلب فوق مقدوره وأكثر مما يستطيع ، اذ العقل كما بينا يميل الى استعمال الوجود لصالحه . وهذا الاستعمال يتطلب منه وقف تيار الحياة الذي يدب في الكون ، وتجزئة الوجود للتمكن من بعضه . فالعقل والجواس آلات للتجزئة ، والغاية منهما تيسير الحياة لا تصوير الوجود ، أى انها تتناول الوجود في ظاهره ولكنها لا تغد الى باطنه . . . ولما كانت المعرفة الحقيقية هي التي تمشي مع الوجود في تحوله ، وتتغلغل في باطن الأشياء . ونحسها احساساً مباشراً كما يحس الخل الوديع وجوب الفرار من غائلة الذئاب ؛ فالبصيرة وحدها هي الأداة الصالحة لذلك النوع من المعرفة المباشرة . لأنها حاسة الحياة التي تغل تلك الوحدة العجوبة التي تربط أجزاء الوجود .

التطور فلق وانسا

لا يمكن أن يكون تطور الحياة على تلك الصورة البشعة القاسية التي رسمها دارون وسبر ، انما التطور خلق مستمر . وتجديد متواصل ، وتغير لا ينقطع .

الانتخاب الطبيعي عند دارون هو الأساس الذي تقوم عليه نشأة الأعضاء والوظائف والأنواع . ولكن لم يكد يستوى ذلك المذهب على قلبه ، حتى أحاط به من الصعاب والمشكلات ما لم يقو على رده ، فكاد يخز صريعاً وهو ما يزال في بقاعته .

كيف يستطيع الانتخاب الطبيعي أن يفسر نشأة حاسة الابصار مثلاً ؟ أولاً ، لابد أن نعلم بأنه من المستحيل أن تكون العين قد نشأت على هذه الصورة المعقدة من بادى الأمر ، فإذا فرضنا أنها تكونت بعد سلسلة من الاطوار ، فهل من اليسير أن تقع عقلا سليماً أن تلك الأدوار التي مرت بها عين الانسان تطابق تمام المطابقة الأدوار التي مرت بها الجواس الابصارية لأنواع الجوان جميعاً ؟ مع أن الانتخاب الطبيعي أساسه المصادفة المحضة ! وهل من الجائز أن تكون سلسلة المصادفات التي تعاقبت على عين الانسان وأذنه وأنفه وسائر أعضائه الأخرى هي التي تعاقبت على أعضاء الحيوانات جميعاً ؟

وإذا سلنا - بدلاً فقط - بأن تلك المصادفة الحرة

المنجية جائزة في أنواع الحيوان لتشابه المؤثرات التي تحيط بها جميعاً. فما قولك في الحيوان والنبات . وما نوعان يسيران في طريقين مختلفين أتم اختلاف ؟ كيف يتفق الاثنان على طريقة واحدة للتناسل ؟ كيف يوفق الحيوان . عن طريق المصادفة . الى اختراع الذكورة والانوثة اداة للكاثر . ثم يوفق النبات عن هذا التوفيق وعن طريق المصادفة أيضاً ؟ ! !

كلا ! يستحيل أن يكون هذا الأساس الرامى قاعدة التطور . ولابد أن يكون في أجزاء الوجود — مهما تنوعت أشكالها — قوة كائنة متشابهة في الجميع : هي الحياة . وهذه الحياة الحالة في كل شيء تخلق فيه ميلاً خاصاً وتوجيهاً معيناً يؤثران في كل جزئ من جزئياته . وهكذا يظل الجسم المادى يتشكل ويتغير حسب ذلك التوجيه الذي تمليه تلك الحياة الدافعة للكائنة فيه . وليس ثمة قوة خارجية تعمل على التطور كما نخل الى داروين وأشباع مذهبه .

هذه الحياة الثابتة تسعى جهودها للتغلب على الجمود المادى وطمس معالمه من الوجود . فهي تتغلب على الموت بالتناسل . وان ضحت في سبيل ذلك الأفراد : وهي تبذل كل ماتملك من قوة لتحرير نفسها من قوانين المادة وأغلالها : فتوقف الحيوان وسيره وسعيه وكل مايات من ضروب الحركة والنشاط . هو في الواقع تحد من الحياة لتلك الأغلال والقيود .

كانت الحياة في مبدأ ظهورها أشبه ماتكون بالمادة في جمودها واستقرارها ، لأنها كانت تمثل في النبات وحده . والنبات كالجماد في سكونه واستحالة سعيه وحركته : ولكنها ما لبثت أن نشدت الحرية من تلك القيود المادية : وراحت تسعى وراء ذلك المثل الأعلى . فاخترعت أنواع الحيوان . وزودتها بشئ الأعضاء . التي يستطيع أن يحقق بها شيئاً من تلك الحرية المنشودة . ثم ما لبثت أن عنت آمالها في واحد من تلك الحيوانات جميعاً : هو الانسان . فلا شك في أن الحياة تحاول ما استطاعت أن تسخر من قيود المادة . ونحن نضحك ونسخر اذا مارأينا كائنات حيا بتصرف كما تتصرف الكتلة المادية الجامدة . . كأن نزل قدمه فيسقط بقوة الجاذبية كما تسقط قطنة الحجر .

نضع من ذلك أن الحياة قد سارت في تطورها خلال فراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة النبات اذ كانت أقرب ماتكون الى سكون المادة وجمودها .

الثانية : مرحلة الحيوان البرزى كالنحل والنمل الذي يتحرك ويسعى . ولكن في حدود مرسومة وخطة معلومة . .

الثالثة : مرحلة الحيوان المفردى . الذي أخذ يسير في طريق الفسك . ولن يزال هذا الفسك ينمو وبشد وبسقيم . فهو ذخيرة الحياة وأملها الذي سيحقق لها ما تشد من حرية .

هذه الحياة التي لا تفتأ تخلق وتغير وتبتدع . والتي تلتمس الحرية من قيود المادة . من الله فاته والحياء امهان على . . . واحد . ولكنه اله ذو سلطان محدود بقيود المادة . وليس مطلق الارادة كما تصوره الأديان . الا انه دائم في الخالص من أغلاله وأصفاده : وأغلب الظن أن الحياة ستظفر آخر الأمر . ونكاد نوقن أنها ستعطب على الموت . فيتحقق لها الحرية والخلود . فكل شيء جائز في نظر الحياة مادام في الزمن امتداد .

وبعد . فما أجمل أن يرتفع صوت برجسون بشيراً بما في الكون من حياة فعالة خالقة . ليقف تيار المادية الذي طغى على اوروبا في القرن الماضي . حتى غمرها بين ثبابه . وكما نود أن نشترك معه في ثل ذلك العرش الذي كان يترجع عليه اله العقل . ولكن على شريطة ألا يدغونا الى تقديس اله آخر : هو البصيرة : لأنها قد تخطىء كما تخطىء الحواس .

oooooooooooo

موجز التاريخ الطبيعي

في علم الحيوان

للسنة الرابعة الثانويه

تأليف محمد كمال محمد

المدرس بمدرسة شبرا الثانويه

نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر .

يقع في ١٢٦ صفحة . وهو موضح بالرسوم وبه ثلاث لوحات ملونة . سهل الأسلوب دقيق العبارة . وقد عنى المؤلف عناية خاصة بصفات الرتب . وذيله بمجموعة شقيقة من الاسئلة وهو يباع في مقر اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ تليفون ٤٢٩٩٢ ومن المكاتب الشهيرة وثمنه عشرة قروش عدا اجرة البريد

في الأدب العربي

ابن خلدون في مصر

للاستاذ محمد عبد الله عنان

١

ترددت خلال العام الماضي دعوة لأحياء ذكرى المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون المناسبة انقضاء ستمائة عام على مولده^(١)، فاستجابت دوائر التفكير والأدب في جميع البلاد العربية لهذه الدعوة الكريمة، وأقيمت عدة حفلات عليّة للإشادة بذكره وبخالد آثاره، ولاسيما في تونس مسقط رأسه ومطلع مجده، وفي مصر مقام شيخنا ونحوه ومثوى رفاته؛ وحفلت المجلات والصحف حيناً بمختلف البحوث عنه. ولكن فاحية من حياة الفكر الكبير لم تلقَ كبير عناية، تلك هي حقبة مقامه بمصر، وصلته بها روآثره فيها؛ وهذا ما نريد أن نغني به في هذا الفصل نجمة لذكرى المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي الأشهر

غادر ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون تونس في منتصف شعبان سنة ٧٨٤ هـ (أكتوبر سنة ١٣٨٢ م)، فوصل ثغر الاسكندرية في يوم عيد الفطر بعد رحلة بحرية شاقة. ويقول ابن خلدون في تعريفه، عن نفسه، أنه قدم إلى مصر لينتظم منها في ركب الحاج، وأنه لبث بالاسكندرية شهراً بغير العدة لذلك، ولكن لم يتبع له يومئذ أن يحقق هذه الغاية، فنصد إلى القاهرة^(٢)، وكان قضاء الفريضة حجة الطاهرة في مغادرة تونس، واستئذان سلطانها أبي العباس في السفر إلى المشرق. ولكن ما يقعه ابن خلدون من الحوادث قبل ذلك يدل على أن مغادرته لتونس كانت فراراً؛ وكانت خشية من بطش سلطانها. وغدر بلاطها، وكان ابن خلدون قد انقضى نحو ربع قرن في خوض غمار السياسة ودسائس القصور، وتقلب في خدمة معظم

(١) كان مولد ابن خلدون في رمضان سنة ٧٢٢ هـ - مايو سنة ١٣٢٢ م

(٢) «التعريف بابن خلدون»، وهو ترجمة المؤرخ لنفسه في ذيل تاريخه - راجع، كتاب القبر (تأليف ابن خلدون) ج ٧ ص ٤٥٢ ويقتل هذا التعريف من ص ٢٢٩ إلى ٢٦٢ - وسعود إلى ذلك عهد

سلاطين المغرب والاندلس، وذاق نعم الرياسة وحنن القمة مراراً، وعانى مرارة السجن ولأمر وخطر الهلاك غير مرة. ولم تهدأ نفسه المضطربة بنصف المغامرة والضال والدنس إلا في كهولته، يوم أعينه الحيل، وغلبت الأرزاء والمحن، وفقد عطف معظم القصور التي تقلب فيها، وأضحى يتبرم بقضاء تلك المهام السلطانية التي كان ينخذقها وسيلة لذهو الرياسة. عندئذ عافت نفسه غير الياسة ودسائس القصر، فارتد في أواخر سنة ٧٧٦ هـ، إلى قلعة ثانية منزلة بناحية أولاد عريف بالمغرب الأوسط؛ وهناك انقطع للبحث والتأليف مدى أربعة أعوام، وأخذ في كتابة تاريخه الضخم، وأنجز منه مقدمة الشجرة وعدة مجلدات أخرى ثم رأى أن يقصد إلى تونس ليكمل مراجعته في مكاتبها، وكانت بينه وبين سلطانها وجشة؛ فاستأنته وحصل على رضائه؛ وغادر مقامه الباقى إلى تونس فوصل إليها في شعبان سنة ٧٨٠. وهناك اشتغل باتمام مؤلفه بتكليف السلطان ورعايته حتى آتته، ورفعته إلى السلطان، ومدحه يومئذ بقصيدة طويلة أوردتها في تعريفه، وكان ذلك لنحو عامين من مقدمه إلى تونس (٧٨٢ - ١٣٨٠ م)^(١)

وهنا ألقى ابن خلدون نفسه في معتزك جديد من الدسائس، وقعه رجال البطالة بالكيد والسعاية لدى السلطان، وأغروه أكثر من مرة باستصجابهم إلى غزواتهم ومهام الخطرة، فخشى ابن خلدون عاقبة السعاية، ولم يجد في تونس ما كان ينتدبه من هدوء وسكينة، فانتبه فرحاً بوجود السلطان في تونس، وبوجود سفينة مصرية في مرسأها تقصد الاسكندرية، فألح على السلطان في الاذن له بالسفر لقضاء الحج، وركب البحر بمفرده تاركاً أسرته في تونس. فوصل الاسكندرية كما قدمنا في يوم عيد الفطر سنة ٧٨٤ هـ^(٢)

كان مقدم ابن خلدون إلى مصر اذاً، نوعاً من الفرار وخيفة البطش والمحنة. ولم يكن قضاء الفريضة قصده المباشر، بل كان حجة الظاهرة. وكان يرجو بلا ريب أن يقضى بقية أيامه بمصر في هدوء.

(١) كتابته المجلد ج ٧ ص ٤٤٤ وما بعدها.

(٢) كتاب المجلد ج ٧ ص ٤٥١

ودعة، وأن ينعم بذلك الاستقرار الذي لم تهبه له بالمغرب حياة الضال والمغامرة . وكان يومئذ في الثانية والخمسين من عمره . ولكنه كان وافر النشاط والقوة . يتطلع دائما الى مراتب النفوذ والمرتبة ؛ وكانت القاهرة يومئذ موئل التفكير الأعلامي في المشرق والمغرب ، وللاطلاع شهرة واسعة في حياة العلوم والآداب . فكان يرجو أن ينال قسطه من هذه الرعاية والاهابة . ووصل ابن خلدون الى القاهرة في أول ذي القعدة سنة ٨٤٠ هـ - نوفمبر سنة ١٣٨٢ ؛ فبرهنه ضخامتها وعظمتها وهاؤها كما بهرت سامعه ومواقفه الرحابة ابن بطوطة قبل ذلك بصف قرن^١ . وكما بهرت على كرم المصور كل من رآها من أعلام المشرق والمغرب . ولا غرو فان المؤرخ لم ير بالمغرب سوى تلك المدن الصخرية المتواضعة . ولم ير بالأندلس حيث قضى ردها من الزمن . مدينة في عظمة القاهرة وروعها . وهو ينتف للقاهرة أثر مقدمه وبمجيا بحماسة تتم عن عميق إعجابه وسحره وتأثره . ويصفها في تلك الفترة الزاخرة : « فرأيت حاضرة الدنيا . وبنان العالم . ومحرر الأمم . ومبرج النور من البشر . وايوان الإسلام . وكروسي الملك : تلوح القصور والأواوين في جوه . وتزهو الخوازيق والمدارس والكواكب بأفانه . وتضيء البهور والكواكب من علانه : قد مثل بشاطي . النيل خير . ومنفع مياه السماء . يسقيه العلل والنهل سبحة . ويجبي اليهم الثروات والخيرات نجه : ومررت في سكك المدينة تنص بزحام المارة . وأسواقها تزخر بالنعم ... »

ولم يكن ابن خلدون نكروفي مصر . فقد كان المجتمع القاهري يعرف الكثير عن شخصه ولجته ؛ وكانت نسخ من مؤلفه العنعم ولا سيما مقدمته الشهيرة قد ذاعت قبل ذلك بقليل في مصر وغيرها من بلدان المشرق . وأعجبت دوائر العلم والتفكير والآداب بطلاقة مقدمته وبيدتها وزوعة مباحثها . فلم يكذب يحل بالقاهرة حتى أقبل عليه العلماء والطلاب من كل صوب . يقول ابن خلدون في كبرياء وتواضع معا : « واثال على طلبة العلم بها يلتمسون الأفادة مع قلة البضاعة . ولم يوسعون عقولنا^٢ وهذا مانشير اليه التراجم المصرية : فيقول ابو المحاسن بن تفرى بردي في ترجمته لابن خلدون : « واستوطن القاهرة ونصب للآقراء بالجامع الأزهر مدة . وأشتغل وأفاد^٣ » ويقول السخاوي : وتلقاه أهلها (أي أهل

مصر) وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد عليه . بل تصدر للآقراء بالجامع الأزهر مدة ... » . جلس ابن خلدون للتدريس بالأزهر ، والطاهر أنه كان يدرس الحديث والفقه المالكي . وبشرح نظرياته في العمران والمهنية وأسس الملك ونشأة الدول ؛ وغيرها مما عرض اليه في مقدمته . وكانت هذه الدروس خير إعلان عن غزير علمه . وشائق بحته . وساخري يابه . وكان ابن خلدون محدثا . بارعا ورائع المحاضرة . يجلب الباب سامعيه بمطقة وذلاقة . وهذا ما يحدثنا به جماعة من أعلام التفكير والآداب المصريين الذي سمعوه أو درسوا عليه ؛ ومنهم المؤرخ الكبير تقي الدين المقرئ الذي سمعه ودرس عليه قتي^٤ . وكذا الحافظ ابن حجر : فقد درس عليه وانتفع ببلده ووصفه بقوله : « وكان لنا فصيحاً . حسن الترتيل وسط النظم : مع معرفة تامة بالأمور خصوصاً متعلقات المملكة^٥ » ونقل السخاوي عن الجلال البشبيشي انه « كان فصيحاً مفوهاً جميل الصورة ، وعن الزركاكي ان محاضراته اليها المنهية^٦ »

وهكذا استطاع ابن خلدون لأول مقدمه أن يجلب الباب المجتمع القاهري . وأن يستثير إعجابه وتقديره ؛ ولكن صفاء الأفق من حوله لم يدم طويلا كما سنرى . وفي اثناء ذلك اتصل ابن خلدون بأمر من أمراء البلاط يدعى علاء الدين الطيغنا الجواني^٧ فتمله برعايته . وساعده على التهرب من السلطان والاتصال به . وكان السلطان يومئذ الظاهر برقوق ؛ وقد ول الملك قبيل مقدم ابن خلدون بأيام قلائل (أواخر رمضان سنة ٧٨١) ، فأكرم وقادة المؤرخ واهتم بأمره ؛ يقول ابن خلدون : « فأبر مقامي . وآنس القرية . ووفر الجراية من صدقاته . شاء مع أهل العلم » وبذا تحققت أمنية المؤرخ من الاستقرار والمقام الهادي في ظل أمير يحميه ويكفل رزقه ، ولم يمض قليل على ذلك حتى خلا منصب التدريس بالمدرسة . الضمجة . بجوار جامع عمرو وهي من مدارس المالكية فيه السلطان فيه . ويعني ابن خلدون في تفرقه . بوصف مجله الأول في هذا العهد : « انقبة على صفحة ٢١ »

- (١) كتاب المنزه للامام في أحياء القرن التاسع عشر القاهري - نسخة دار الكتب المتوغرافية رقم ٦٧٥ تاريخ المجلد الثاني من القسم الثاني - ص ٢٦٧
- (٢) غرود إلى تدبير المقرئ لتحية ابن خلدون بمباينه .
- (٣) كتاب آيات القدر في أحوال العمران حيدر قسطلاني (نسخة دار الكتب المتوغرافية رقم ٢١٧٦ تاريخ) ج ١ ص ٧١١
- (٤) المنزه للامام - المجلد الثاني من القسم الثاني - ص ٢٦٩
- (٥) هكذا اسمه في التبريد لقصان . ولكن السخاوي يسميه . قسطلاني الحراري .

- (١) وفد ابن بطوطة على القاهرة سنة ٧٦٦ هـ - ١٣٦٩ م في عهد قاصر بن علاوي
- (٢) كتاب القبر ج ٧ ص ١٥٢
- (٣) كتاب المجلد الثاني لاسنن تفرى بردي - نسخة دار الكتب المتوغرافية رقم ١١٢ تاريخ - ج ٢ ص ٣٠٠

أثر اللغة العربية في العالم الاسلامي

للسردنسون روس

مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن

هذه ترجمة المحاضرة الاولى من المحاضرات الثلاث في الاداء
السردنسون روس باللغة الانجليزية في قاعة الجمعية الجغرافية
إسبانية في القاهرة المصرية وقد تقدمت الخاتمة على كل محاضرة
حضوراً كبيراً وسررت ترجمة المحاضرات الثلاث على الاعمال المقبلة

مترجم:

أشعر وأنا أختار موضوعاً مثل هذا لمحاضرة في الجامعة
المصرية ، انه ينطبق على المثل القائل « كمن يجلب الفحم
إلى نيوكاسل » أو على حد تعبير الفرنسيين « كمن يحمل الماء الى
البحر » أو كما يقول العرب « كمن ينقل النمر الى البصرة » أو
« كمن يبيع الماء في حارة السقائين »

إذ كيف يجرؤ شخص مثل لا يخرج عن كونه تليذاً يدرس
العربية أن يقوم يبحث في هذه اللغة العظيمة على مرمى قوس
من الأزهر ؟ إن اعتدلى عن هذا ينبغي أن يكون اعتذار اللغة
أمام عرش سليمان .

وربما قيل عن عنوان محاضرتي أنه تقرير لقضية مبسطة ، فالعربية لغة
القرآن والحديث وتأثيرها في العالم الاسلامي حق لا ريب فيه .
ولكنني أرجو أن أسوغ عنواني هذا بأن أبين تأثير اللغة
العربية في تلك الممالك التي تتكلم لغات أخرى ، وتكلمها لا على
أنها واسطة لفهم العقائد وإقامة الشعائر الدينية بل لأنها عامل
منتج من الثقافة العامة .

ذلك لأنه ينبغي أن نعلم حق العلم أن ليس ثمة دين عالمي
آخر قامت فيه اللغة الأصلية للكتب المقدسة بذلك الشأن
الخطير كما هو الحال في الاسلام .

فاذا اعتبرنا البوذية والمسيحية وهما ديانتان تقومان بالدعاية
فأنا نلاحظ أن كتبهما المقدسة إذا أذيعت في ممالك أخرى
فأما تذايع بلغة تلك الممالك ، فخذ لذلك مثلاً تلك المجموعة الضخمة
بمجموعة القوانين البوذية المبرورة باسم « السلات الثلاث » (١)
فأنت تجدتها تقرأ في الصين واليابان مترجمة إلى لغة تلك البلاد . حقاً
إن لغة الهند الأصلية قد اختفت كما اختفت البوذية نفسها من الهند .
وقل مثل هذا عن التوراة والانجيل فانهما يقرآن في الأمم
المسيحية بلغة كل منها دون أن تقوم العربية أو المسحبة بأي

شيء في حركات الدعاية التي تقوم بها الجمعيات الدينية .

وان اللغة الوحيدة التي يمكن مقارنتها بالعربية من حيث أنها
واسطة للتعالم الدينية إنما هي اللغة العبرية . على أن هناك اختلافاً
بين الحالين من بعض الوجوه وإن اتفقت اللغتان في أن كتابتهما
تدوين بخطرها الاسامي إلى أنها لغة الكلام المنزلة من عند الله
وأما العبرية فبعد أن كل نفي من اليهود يحفظ بعضاً منها . ولكن
اليهودية لا تعتبر الآن من الأدب الواسعة الانتشار وذلك على
الرغم من انتشار جماعات اليهود في أنحاء العالم . وإليك لتجد طوائف
وحيدة منهم في الهند وأثيوبيا لا يعرفون من العربية إلا قليلاً .

ويجب أن نتذكر أني إنما أبحث في التأثير اللغوي الذي أحدثه
القرآن لاني رسالة النبي . وعلى ذلك فأظني أستطيع تقرير تلك
الحقائق دون أن أسيء إلى الحاضرين من المسيحيين واليهود
إن التأثير الذي تركته التعاليم البوذية والكتب العربية
المقدسة في آداب الممالك البوذية والمسيحية لا يقل شأماً عن تأثير
القرآن إن لم يكن أكثر في ناحية الفن .

ولكن ما حدث في الصين وفي أوروبا هو أن تلك الكتب
المقدسة قد أصبحت جزءاً من الآداب القائمة إذ ذاك وكانت تلك
الآداب غنية بالأبحاث والموضوعات الدنيوية . وفيما يتعلق بأوروبا
بقول إنه لما كانت اللغات الحديثة قد اشتقت من اللاتينية
والتوتونية القديمة ، فانه لما ترجم الانجيل الى تلك اللغات ،
أصبح ذلك الكتاب هو المؤثر الثابت فيها كما يشهد بذلك الجهد
الذي بذله لوتر في وضع أساس الألمانية الراقية الحديثة .

نعم لقد لعبت اللاتينية بين الكاثوليك دوراً مشابهاً لذلك
الدور الذي لعبته العربية بين المسلمين « ولكن اللاتينية لم تكن
لغة التزويل » .

الموضوع :

ولتعد الآن الى الموضوع الاساسي لمحاضرتي . وستكون الممالك
التي يتناولها بحثي هي تلك التي لا يزال الاسلام سائداً فيها ولكن
لا تتكلم العربية . أعني بلاد الفرس وبلاد الهند وما وراء النهر
وتركيا .

إن دخول الشرق الأدنى والشرق الأوسط والهند تحت
خوذ العرب — وقد كانوا أنفسهم حديثي العهد بالدخول في الدين
الجديد وقول « الوحدةانية السامية » (١) — قبدأى الى ثورة عظيمة
« في الأدب والثقافة » لا تقل في خطورتها من حيث

موسى بن شاكر

وبنوه الثلاثة

للاستاذ قدرى حافظ طوقان

عضو الجمعية الرياضية بندن

مستوفهم

ظهر موسى بن شاكر في عصر المأمون ولمع في سماء العلم ولاسيما في الهندسة وانبت منه ثلاث نجوم : محمد واحد وحسن نبغوا في الرياضيات وعلم الهيئة والفلسفة ، وكان لهم في ذلك مؤلفات نادرة عجيبة . وهؤلاء الأربعة ومن تلاميذهم في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب وأنعموا فيها نفوسهم وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها اليهم فأحضروا الثغلة من الأصقاع والأماكن البعيدة التي . فأظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والخيال والحركات والموسيقى والنجوم وهو الأقل (١) . . .

ويقال إن موسى مات صغيراً وقد خلف أولاده الثلاثة صغاراً اعنى بهم المأمون كثيراً . ووصى بهم اسحاق بن ابراهيم المصعب وأمره بالاهتمام بهم والمحافظة عليهم . وانقطعوا الى العلوم يبحثون عنها ففاصوا فيها واستطاعوا أن يجدوا أكثرها . فأكرمهم وهو أبو جعفر محمد أجل اخوته علماً بالهندسة والنجوم والجسطى ، وكان جماعة للكتب ، ومضى عليه زمن كان مدخوله السنوي أربع مائة ألف دينار (٢) . أما أحمد فقد كان دون أخيه في العلم إلا صناعة الخيل فقد تعمق فيها . وأجادها وتمكن من الابتكار فيها ، وفاق القدماء المحققين في هذا العلم مثل (ابن) . وأما حسن فقد كان منفرداً في الهندسة . ومع أنه لم يقرأ من كتب الهندسة إلا ست مقالات من كتاب اقليدس في الأصول . فقد حدث نفسه باستخراج مسائل لم يتخرجها أحد من الأولين . كقضية الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية ، وطرح خطين بين خطين ذوي توال على كـ . فكان يحلها ويردها الى المسائل الأخرى ولا ينتهي الى آخر أمرها . لأنها أعيت الأولين (٣) . وحكى عنه أنه كثيراً ما كان يفرق في الفكر في مجلس فيه جماعة فلا يسمع ما يقولون ولا يحس .

مآثرهم

ثبت أن المأمون أمر بنى موسى بقياس درجة من خط نصف النهار لايجاد محيط الأرض ، وقد أجروا حسابهم ذلك في سنجار

(١) ان القديم : المعبوت من ٢١٨ و ٢١٩

(٢) ان القبطي : أحار العلماء بأخبار الحكماء من ٢٨٧

(٣)

فوتها وتماها ، ومن حيث أنها مبدأ عهد جديد . عن ذلك التفسير الذي طرأ على العقيدة الدينية .

ويرجع هذا في أساسه الى ذلك التأثير المعجز الذي أحدثه القرآن في نفس كل من اعتنق الاسلام .

فان القرآن وهو كلام الله الذي أنزله على رسوله قد قوبل من المسلمين قاطبة بالاحترام والاحلال ، أولاً ، من أجل عباراته ذاتها لأنها تنزل من الله ، وثانياً لما اشتمل عليه من الآيات البينات ، ومن أجل ذلك كان لزاماً على من يقبل الاسلام أن يقبل معه اللغة العربية ، تلك اللغة التي نزل بها القرآن وأرسل بها الرسول .

وهنا لا نجد لغة غريبة غير مستعملة لا يفهمها إلا عدد محصور من العلماء كما كان الحال في ديانة زرادشت (١) والديانة الهندية (٢) ، بل نجد (لغة حية) بتكلمها أولئك القوم الذين دعوا سكان الممالك التي فتحوها الى الدخول في الدين الجديد .

إن الرقي الفعالي الذي طرأ على اللغة العربية وأحاطها الى لغة مهذبة مكتوبة ليعد من أعجب الأمور اذا تذكرنا أنه في الوقت الذي ظهر فيه الرسول لم يكن لدى العرب « أدب لغة » (٣) بالمعنى الذي يفهم من هذه العبارة . وإن استعمال الحظ كان قليلاً الى درجة كبيرة قدليل أنه في أثناء الكفاح بين المسلمين وأعدائهم كما حدث في بدر وأحد كان المتبع أن يبقى المسلمون على حياة من يعرفون الكتابة من الأسرى . ولكن العرب قد أخرجوا فحول الشعراء الذين تغنى الناس بشعرهم في طول شبه الجزيرة وعرضها ، وإن كان الخلاف لا يزال قائماً بين الباحثين فيما إذا كانت هذه الأشعار قد ظهرت حقاً في الجاهلية أم في الاسلام .

والذي ما يهنا هو أن بين هذه الأشعار طائفة يمكن اعتبارها في المنزلة الأولى لا في أدب العرب فحسب . ولكن في أدب العالم أجمع . وكان القرآن يمثل النهضة التي كانت شائعة في الحجاز . والى أن قام الخليفة عمر (بمراجعاته) الرسمية الدقيقة للقرآن . لم يكن هناك أى كتاب في النحو . كما لم يكن هناك أى قاموس عربي . وكان القوم أول من ميزوا أنفسهم باستنباط بعض القواعد النحوية من القرآن وبعد هذا أخذ الأذكياء في العالم الاسلامي يحذقون هذا اللسان الصعب . وابتدأ الناس يدرس بعضهم بعضاً كل بما حصل من اللغة . ومنذ ذلك الوقت . فيما بين أسبانيا وسمرقند . أخذ الكثير من الشعراء المطوعين . الذين كانوا من قبل في حاجة الى أداء يظهرون بها أفكارهم ينضجون الشعر بالعربية . ولقد شرعوا أول أمرهم يحاكون الأشعار البسوية التي لم يكن لهم بموضوعاتها علم مباشر . ثم أخذوا بطرقون من الموضوعات ما تميل اليه قلوبهم . وما يوافق طبعهم ويشتهم .

« يتلى »

كما أجروه ثانية في الكوفة. ومن نوافق الحساين علم المأمون صفة ما حرره القدماء في هذا الصدد (١) وهم الذين كلوا الزيج المصحح، وحسبوا الحركة المتوسطة للشمس في السنة الفارسية. وحددوا ميل وسط منطقة البروج المسماة بالاكليتيك في مرصدهم المبنى على جسر بغداد المتصل بالباب المسمى بالطاق. وعرفوا فيها فروق حساب العرض الأكبر من عروض القمر (٢) وقد عول ابن يونس في أرصاده الفلكية على أرصادهم. وعمل أحدهم وهو محمد تقويمات لمواضع الكواكب السيارة (٣). ولأبناء موسى في الجيل كتاب يعرف بحيل بني موسى، وهو عجيب نادر، يشتمل على كل نادرة وقد يكون هو الكتاب الأول الذي يبحث في الميكانيك ولقد وفتت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتها، وهو مجلد واحد (٤)، وهي (أي الجيل) شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس (٥) ويحتوي هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكي عشرون منها ذات قيمة عملية (٦). وقد كتبوا في فن الآلات الروحية (٧) وهذا العلم «يتبين فيه كيفية إيجاد الآلات المرتبة على ضرورة عدم الخلاء ونحوها من آلات الشراب وغيرها، ومنفعته ارتياض النفس بفرائض هذه الآلات كقدح العدل والجور و...» (٨). وعلى ذكر قدح العدل وقدح الجور يقول كشف الظنون في الجزء الأول ص ١٣٧ ما يلي: «أما الأول (قدح العدل) فهو إناء إذا امتلأ على قدر معين يستقر فيها الشراب، وإن زيد عليها ولو بشيء يسير ينصب الماء ويتفرغ الإناء عنه بحيث لا يبقى قطرة. وأما الثاني (قدح الجور) فله مقدار معين أن صب فيه الماء بذلك القدر القليل ثبت، وإن ملئ يثبت أيضاً، وإن كان بين المقدارين يتفرغ الإناء، كل ذلك لعدم إمكان الخلاء...» وأكثر هذه الآلات توضع أنواعاً من الحيل العلية. وهي مبنية على المبادئ الميكانيكية المنسوبة لطيرد الاسكندري (٩). وقد اهتموا بنقل أحسن الكتب اليونانية، حتى أن أحدهم وهو محمد ذهب إلى بلاد اليونان ابتغاء الحصول على مخطوطات تبحث في الرياضيات والفلك (١٠) واستعملوا منحنى نيكوميديس Conchoid في تقسيم الزاوية إلى ثلاثة

أقسام متساوية (١١). واستعملوا الطريقة المعروفة الآن في إنشاء الشكل الاهليلجي (١٢). أما الطريقة فهي أن تفرزد بوسين في نقطتين وأن تأخذ خيطاً طوله أكثر من ضعف البعد بين النقطتين. ثم بعد ذلك تربط هذا الخيط من طرفيه وتضعه حول الدبوسين. وتدخل فيه قلم رصاص وتدأره القلم يكون الشكل الاهليلجي. وتسمى النقطتان بمحترقي الاهليلجي أو «ؤرنه». وفي أحد مؤلفاتهم في الهندسة استعملوا القوس المعروف غايون (هبرون) لمساحة المثلث إذا علم طول كل ضلع من أضلاعه (١٣). ولا يفوتنا أن نذكر أنه نسب إلى أبيهم موسى القول بأجازية. بدلما على ذلك ما جاء في كتاب بساتين علم الفلك للعلامة صروف الذي يقول: «وهذا التفاعل بين الأجرام السماوية الذي يطلق عليه اسم الجاذبية العمومية انتبه له بعض العلماء من قديم الزمان. فأشار إليه بطليموس صاحب كتاب المجسطي حاسماً أنه هو الذي يجعل الأحسام تقع على الأرض متجهة نحو مركزها». وهو الذي يربط كواكب السماء بعضها ببعض. ويقال أن موسى بن شاكر المهندس الذي نشأ في أوائل القرن الثالث الهجري انتبه له أيضاً وقال به. «ه (١٤)»

مؤلفاتهم

كتب بنو موسى في موضوعات مختلفة: في الهندسة والحيل والطب والمساحة والمخروطات وعلم الهيئة. وقد أجادوا في ذلك إلى درجة أثارت إعجاب كثير من العلماء. فمن تأليفهم كتاب بنو موسى في القوسطون. وكتاب مساحة الأكر. وكتاب قسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية. ووضع مقدار بين مقدارين ليتوالى على قسمة واحدة (٥) وكتاب يبحث في الآلات الحرة (٦).

ولأحدهم وهو أحد كتاب بين فيه بطريق تعليمي مذهبا هندسيا وهو ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة ناسئة.

ولحسن: كتاب الشكل المدور والمستطيل. أما محمد فله كتاب حركة الفلك الأول. وكتاب الشكل الهندسي. وكتاب الجزء. وكتاب في أولية العالم. وكتاب على مائة الكلام. وفي الفهرست ينسب إلى محمد كتاب المخروطات، ولكن كتاب كشف الظنون يقول في هذا الكتاب ما يلي: «... وقال أبو موسى شاكر الموجود من هذا الكتاب سبع مقالات وبعض الثامنة. وهو أربعة أشكال. وترجم الأربع الأول منها أحمد بن موسى الخصى. والثلاث الأواخر ثابت بن قرة... أصلها الحسن وأحمد بن موسى بن شاكر (٧)»...
نابلس - فلسطين قدرى حافظ طوقان

(١) ابن حلكان - وفات الاعيان ج ٢ ص ٨

(٢) صدر تاريخ العرب ص ٩١

(٣) ... ص ٢١٠

(٤) ابن حلكان - وفات الاعيان ج ٢ ص ٧٩

(٥) ابن قنطل - أخبار الحكماء ص ٢٠٨

(٦) كتاب تراث الاسلام Legacy of Islam ص ٢٢١

(٧) الأصاري - لوشاد القاصد ص ١١٣

(٨) ... ص ١١٢

(٩) كتاب تراث الاسلام ص ٢٢١

(١٠) كاجوري - تاريخ الرياضيات ص ١٠٤

(١) سمك - تاريخ الرياضيات ج ١ ص ١٧١

(٢) ... ج ١ ص ١٧١

(٣) كاجوري ... ج ١ ص ١٠٢

(٤) صروف: بساتين علم الفلك ص ٢١ و ٢٢

(٥) ابن النديم: الفهرست ص ٢٧٩

(٦) الأصاري: لوشاد القاصد ص ١١٢

(٧) كتاب طو - كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٩

طرائف من شعر الشباب

مناجاة غدير

الأستاذ محمود الخفيف

لم تُخف يا غدير قط عذابي أو تذق يا غدير للعزن طمعا
أو تقابل لدى الحياة صعبا كيف هذا ولست تعرف ومعا؟
أنت يا أيها الغدير طروب *** ناعم البال لست ترهب وزعا
مطهر إلى الحياة لمسروب لست تبدي عن المنة شيئا
يا غدير الصباح ربي عسا *** وأملأ القلب من غنائك وحيا
كل لحن سواك عاذ ميا يا غديرا لقد وعيتك وعيا

في الليل

استكني يا طيور الانملاي الليل عسا بصوتك الحلاب
وقفي يا غصون لا تقاغي حديث الهوى وموس الثياب
طالب لي بجلسي بعيدا عراليه ارا في نجوة من الأصحاب
فتنتي سكنة الليل والليل لكون بطير بالآلاب
واخواني الظلام حتى كاني فطنة منه في سواد الهاب
وكان السماء صحراء خروبا بدا نجمها كومض الراب
وكان الليل البهيم عباب وأنا ساج بهذا العباب
بين شطين من ظلام قد امتد امتداد العصور والاحتباب

...

نام زهر الرباض في سرور العشب ونامت على السفوح الروابي
وسرت روح شاعر بعد الحد زفرت في الليل بين السحاب
انما الليل للذي يعرف الليل اوما فيه من معاني عذاب
قدس الليل انه هبكل السحر وروحي الهوى وسر الشباب
أمين عزت المحبين

الله وراء كل شيء

ثقت نفسي فصلت هداها ونجلى الهما في هواها
زعمت أن طينا أزل كذبنا وحق من سواها
ولثام النفوس ان تلفق مولا ما حفا بها عصت مولاها
ضلة للمقول لم تك شيئا ثم كانت فأنكرت من براها
فجبال السماء ليلا وسائل سفن النيرات من أجراها
سفن موجهها الأثير ولا به لم الا ربانها مرساها
جاوزت في العيون حد التفصي فتراها ولا تكاد تراها

تذق عسى الخوس قوي حرر من سيج التربع بطن حبا
كنت قل المروق عند غدير بلا أنس من غايه حبا
كل ما في الوجود حلو جميل يبعث البشر في الفؤاد ندبا
ونعم الصباح عذب بلبل باعث في الربوع نورا ذكيا
سأد حولي الكون لولا غدير عفرى الحناء ساي البيا
ثائر هادي عبي صور رائق الحس مستفيض المعاني
زاده الصبح والكون رواء وكاء الربيع طلا طليلا
وحباء الشباب منه معناه فترى الماء دائما سليلا
يا غدير الصباح هيجت قلبي أنت للسر رحمة وعذاب
لست أدري وقد تملكك لبي أنزعت أم عراك انحاب
يا غدير الصباح لحك عذب باعث في الفؤاد شئ المعاني
يا غدير الصباح هل أنت ص تعرف البعد في الهوى والتداني؟
أي معنى أردت ان فزادي حركته لما تقول شجون
وبح نفسي لقد ملكك ودادي ففرفت الخشوع كيف يكون
هيه يا أيها الغدير فاني إن ترنمت أو بكيت سمع
يا غدير الصباح أصبح وزدني انب قل بما تقول ولوع
ان ترنمت يا غدير فعسى من دواعي السرور ذاك الغناء
واذا ما بكيت حركت قلبي فقل لي لكل ماك ونا
لست يا أيها الغدير لك كيف تشكو ولست تعرف طلا
لست يا أيها الغدير لك كيف تشكو ولست تعرف طلا
لم نجرب شماعة من غدير أو يحمل إسادة من صديق
أو نقاس القناد بعد ديو أو نقاس الطيور بعد رنوق
لم نسجد بمحونة من حبيب أو نعدب لمجرد وأرباب
أو نعاجا عنة من رغب أو نروع عتوة من صحاب
لم نعدو نعا حرا من دعي أو نبادر بعتة من جليس
أو نشاهد تطاولا من عبي أو نخرج اهانة من حبيب

ان تطالع ابصارا مبتداهـ قال الله رها منهاها

واسأل الورد اكننت كل لون
من كساها ومن جباها شذاها ؟
ألبسها الأوراق كعب قدير
فأرنا لثم الشفاء الشفاها
أبرزتها عذراء من خدر كم
في جيا ثوردت وجنتها
ودعنا ملكة الزهر لسا
ألبسها الرباض تاج نداما
فأصغ لأجواب منها نجدها
باسم من ساكنا تحركها

شجرات في الروض مشتهات
شهوة الأكلين فاضم جباها
ذقت هذى قفا أمر جباها
ثم هذى فقلت ما أجلاها
ما اختلاف الطعوم والماء فيها
واحد والزاب أصل غذاها ؟
صاغها مثلا أراد بديع
قد نفي عن ذاته الأشباها

ثم سائل بلابل الأيك نشدو
فبهر الأملاك لحن غناها
وتناجى القلوب وهي تفتى
فتذيب القلوب في نجواها
من يرى هذه الحاجر عبدا
نأ وأنشأ قنارة في لهاها ؟
انه مبدع كما الطير ريشاً
وجباها في الجو ملكا وجباها

هذه النحلة الدقيقة خلقاً
كيف نسمي وكيف ننبئ قراها ؟
هذه النحلة اكننت حبرات
من طهى شهدا وسل حماها ؟
فل لشمس النهار من جلاها
واسأل الارض من أدار حماها ؟
واسأل الريح كيف ترجى سحابا
واسأل السحب كيف يهيم جباها
ثم سائل بروقها مشرعات
هل تضع الرعود خوف أذاها
واسأل الدوح كيف شب لظاء
واسأل الرايات من أرساما
مدها في الثرى وأعلى ذراها
فأدر في غمد يحمل جباها

ضل في التبة من أن الرشد تبا
بأ أنا العقل لا تكن تياها
يجهل العقل كنه وهو عقل
وجدير أن يدرك الأكتها
قل له ما الاثير وهو فضاء
ان يحمل رسالة أداها ؟
ثم ما الكبرياء وهي قريب
منه وهو العبد عن ممناها ؟
قل له ما ارتباط جسم بروح
ضل فيها دراسة واكتها ؟
هل أعما الأعصاب حين أصاغت
أداها وأدرت مفتاها ؟
أو أعما للقلب نبضا ضعيفا
نسند الأبدان منه قراها
أو أعما الأناس مطردات
وهي في النوم لا تني رثاها
ان خلف العقول ربا حكما
أودع الكائنات سر بقاها

عبد المني المنشاوي

المدرس بالمدرسة الخديوية

ابن خلدون في مصر

و بقية المنشور على صفحة ٤١٦

فقد شهدته جبهة من الأكابر أرسلهم السلطان لشهوده : والتفوا
حول المؤرخ . والتي ابن خلدون في ذلك الحفل خطابا بليفاً .
يحرص على إبرازة بنصه . وقد تكلم فيه بعد الديباجة عن فضل
العلماء في شد أزر الدولة الإسلامية . وعن تغلب الدول . ثم
أشاد بما لدول السلاطين المصرية من فضل في نصرة الاسلام .
واعراره . ومن مهم في إنشاء المساحد والمدارس . ورعاية العلم
والعلماء والقضاة . ثم دعا للبك الظاهر . وأشاد بعزمه وعدله
وعقله : وعظم مددته على نفسه . وما أوله من شرف المنصب في
تلك العتبة الشريفة : « ولا سبحت في الثلج الأزرق . وخطوت
من أفق المغرب الى أفق المشرق . حيث نهر النهار ينصب من
صفحة المشرق . وشجرة الملك التي اعز بها الاسلام نهز في دوحه
المعرق . وأزهار الفنون بسقط علينا من شصه المورق . . أولوني
عاية وتشريفاً . وغمروني احسانا ومروفاً . واوسعوا مني
إيضاحا ونكرتي تعريفاً . ثم أهلوني للقيام بوظيفة السادة المالكبة
هذا الوقت الشريف » الخ «

القل دوع

المحمد فـ

(١) لم يرد وصف هذا المجلس : ولا نص هذه الخطبة في صورتها . بل
الطبعة الملحقه بتاريخ ابن خلدون (كتاب المير) . ولكنها وردت في نسخة
مخطئة (م) من فهرست محفوظ بدار مكتب المصرية (رقم ١٠٩ أم تاريخ) -
(ص ١٠٥ - ١١٠) . ونسخة الفهرست المذكورة تنقص في ترجمة المؤرخ
وفهرست (هـ) عند مستهل سنة ١٩٧ هـ (راجع كتاب المير - ص ٧٠٤ ج ٧
ص ١٤٢) حيث يحتمل ان خلدون يقول « فبريت عن مصر » ولكن نسخة
دار الكتب الخفية التي ذكر في هاتيك لها تلك من نسخة أمية للمؤرخ حيدر
بعد ذلك على عدة صور أخرى عن حياة ابن خلدون في مصر . كتبها لاسيات
عن ولاته لوماتف التدريس والتدريس . وعن سيرة عدد المعلقين في سلكه مصر
والاطلاق المغرب . وعن بعض حوادث مصر الداخلية يومئذ ثم بعده الى الشام في
ركب امك له صرح . وثقائه مع حيدر بن جبريلك في دمشق وما دار بينهما
من الاحاديث ثم عرجه الى مصر . وتحتل ذلك كله المجلات طبعه واحتياجه
لمصر الظاهر والحوادث السياسية على ما نقله في المصنف . ويصل ان خلدون
في رواية حوادث حياته هذه حتى سنة ١٠٩ هـ . أمي قبل وفاته بحوالي عام
وتحتل هذه القصة في النسخة المخطئة المذكورة نحو أربعين صفحة كبيرة (من ص ١٠٧
حتى النهاية) . وهذه النسخة هي التي تشير إليها بما بعد .

في الأدب الفارسي

نظرات في الأدب الفارسي

منذ نشأته الى إغارة التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

مهما تختلف الآراء في تاريخ أقدم أنارة من الأدب الفارسي الحديث فإن مؤرخا يستطيع أن يقول أن ظهور هذا الأدب صاحب ظهور الإمارات الوطنية في إيران، هذه الإمارات بعثت الأمل في نفوس الفرس وأتاحت لهم فرصة يستطيعون فيها التقرب بالمدايح وغيرها الى أمراء يفهمون عنهم، ويمعجون بهم، ويسرهم أن يحيا آداب لغتهم وآثار آبائهم.

وأمر آخر يسترعى نظر مؤرخ الآداب الفارسية، هو ظهور هذه الآداب في الديار الثانية عن البلاد العربية وعن بغداد حاضرة الخلافة والمدنية الإسلامية. اذ كانت هذه الديار أهد من سلطان الأدب العربي الذي كان ترجمان حضارة الإسلام كلها حقبا طويلة ثم استقلال الإمارات كذلك يبدأ في الأفطار البانية، وإنما تنقص الأرض من أطرافها. ومن أجل ذلك أتبع لخراسان البعيدة مهد أول دولة فارسية عظيمة في العصر الإسلامي أن تكون معبث. الأدب الفارسي الحديث. ولم تزل هذا الشرف فارس مهد الدول القديمة على تبرزها في العلم وتقدمها على خراسان فيه. حتى يقول أبو أحمد الكاتب كاتب الأمير اسماعيل بن أحمد الساعقي:

لا تعجبن لعراقي رأيت له بحرا من العلم أو كنزا من الآداب
واعجب لمن يبلاد الجهل منشؤه. إن كان يفرق بين الرأس والذنب
يريد يبلاد الجهل ما وراء النهر وجهات خراسان.

ولي المأمون طاهر بن الحسين خراسان ثم جعلها ولاية لديرته فاستمرروا يلوونها حتى سنة ٢٥٩ نحو ٥٠ عاما. ولكنها كانت أمانة صغيرة قصيرة المدة. وكانت الأسباب لا تنبأ لأسباب الأدب الفارسي. ثم نو طاهر لم يصنوا بالأدب الفارسي. وروى أن رجلا أمدى كتابا الى عبد الله بن طاهر وهو في نيسابور فأله ابن طاهر ما هذا؟ قال قصة (وأمق وعذراء) التي ألفها بعض الحكما للملك

ونشروا. فقال الأمير: نحن قوم نقرأ القرآن ونساق حافة
ان غير القرآن والحديث. فقالوا هذه الكتب التي ألها المحوس؟
ثم أمر فألقى الكتب في النار. وأمر أن يحرق كل كتاب في
ولاية ملقة المحوس. ويقول عوفى عن آل طاهر أنهم لم يكن لهم
اعتقاد في لغة الفرس

وفي سنة ٢٤٧ هـ سنة موت المتوكل طهر في الشرق يعقوب بن
ابن الصغار وهم جد الخليفة أول الأمر وقان - كما يروى نظام
الملك - إنه يريد خلق الخليفة، وكان شجبا فيما يقال وخلعه
أخوه عمرو الى أن استنجد الخليفة المعتمد بن سامان فهزموه
وأزالوا دولته.

والفرس يرون في يعقوب بطلا فارسيا لأنه أول قاتل على
الخلقاء. أقام سلطانه على رغبتهم أكثر من أربعين عاما. وقد سوغت
لهم هذه العقيدة أن نسوا الى طفل ليعقوب أنه نطق بأول بيت من
الشعر الفارسي الحديث، وفي الحق أن بلاد الفرس لم تعد الى حكم
الخلقاء الحقيقي بعد ثورة يعقوب

ولكن أول دولة فارسية عظيمة لها أثر يذكر في الأدب
الفارسي كانت الدولة السامانية. والسامانيون ينسبون الى بهرام
جربن أحد أعيان الفرس الذي ثار أيام البساسيين على كسرى
برويز، والبيروني يؤكد هذه النسبة. وقد بعثت الآداب الفارسية
مع هذه الدولة - فيما نعلم -

وبينما كان السامانيون متسلطين في خراسان وما وراء النهر
ظهر بنو بويه وعظم سلطنتهم حتى استولوا على بغداد سنة ١٠٢٣
وسافوا نسبهم الى بهرام كور أحد ملوك السامانيين. وما زالوا
يصرفون الأمور حتى أدبيل منهم للفرزونية ثم للسلاجقة.

ظهرت دولة بني سبكتكين في غزني وأدبيل لهم من ساداتهم
السامانيين أو - كما يقول بديع الزمان

أطلقت سنس محمود على أنجم. سامان

وسبكتكين تركي لا فارسي. ولكنه مكن نفسه في بلاد الفرس. وكان
لدولته شأن عظيم في آدابهم وجاء السلاجقة فتسخرها كل هذه الدول.
وكان لهم من السلطان وبسطة الملك ما لم يتبع لدولة قبلهم من غير
الخلقاء. وكانت مع هؤلاء أو بعدهم دول ذات شأن: منها

الدولة الزيارية في طبرستان التي منها شمس الممالي قابوس بن وشمكير وابنه منوچهر فلك الممالي وحفيده كيكاوس عنصر الممالي . ودولة ملوك خوارزم الصغيرة التي قضى عليها محمود . وملوك خوارزم العظام الذين تسلطوا على معظم إيران قرناً ورابع قرن الذين كانوا سبياً في إغارة التار وكانوا أول حكام . والدولة الغورية التي قضت على الغزنويين في أفغانستان

هذه هي الدول التي صرفت أمور العرس منذ القرن الرابع الهجري . ويرى منها أن العرس لم يفلحوا في إقامة دولة عظيمة تضم أرجاء بلادهم ، وإنما كان السلطان الشامل لدولتين تركيتين الغزنوية والسلاجقة ، وما عرفنا أن ثورات فارسية عظيمة حاولت التخلص من هاتين الدولتين . وهذه مسألة جديدة أن نغير آراء الذين يريدون تفسير كل حركة في إيران في تلك القرون بالعصية الفارسية .

الآن نرجع إلى الأدب الفارسي نراقب منشأه وتتبع تطوره منذ بدأ إلى عصر التار ؛ فاما ما بعد التار فترجي . الكلام فيه إلى مقال آخر . انا لا أعرف شيئاً عن الشعر الفارسي قبل الإسلام حتى ليظن أن الفرس لم يكن لهم منه حظ كبير ، ولا مر ما نسب بعض كتاب الفرس أول شعر فارسي إلى بهرام جور ، وقالوا : انه أخذ الشعر من العرب اذ تربي في الحيرة . يذكر هذا محمد عوفي في لباب الالباب وشمس قيس في كتاب المعجم ، ويزيد الأخير أنه قرأ في بعض الكتب الفارسية أن علماء عصر بهرام لم يستجئوا منه إلا قول الشعر ، وأن آذرباد بن زرادستان الحكيم بالغ في نصحه لترك الشعر تزعم أن معايه ؛ ثم يقول إن بهرام أتصح وبنح أولاده وذوى قرياه أن يقرضوا الشعر . ثم يقول : من أجل هذا كانت مدائح بهرام وأغانيه عند كسرى يروى لها مثورة لا نظم فيها .

ويقول ابن قتيبة :

« وللعرب شعر لا يشركها أحد من الأمم الأعاجم فيه على الأوزان والأعاريض والقوافي والتشبيه ووصف الديار والآثار ، والجبال والرمال والفلوات وسرى الليل ، والنجوم . وإنما كانت أشعار المعجم وأغانيهم في مطلق من الكلام « متور » ثم سمع بعد قوم منهم أشعار العرب ونظموا الوزن والعروض فتكلموا مثل ذلك في الفارسية وشبهوه بالعربية . »

وأما في العصر الإسلامي فلا ريب أن الشعراء الذين يعرفهم تاريخ الأدب لا يتقدمون العصر الساماني . نغير أن في كتب الأدب الفارسي روايات عن شعر قيل قبل هذا العهد ، وهي على علانها لا تخلو من دلالة على أدب فارسي أقدم مما نعرف عسى أن يثبت التاريخ يوماً . يقول محمد عوفي معللاً ظهور الشعر الفارسي الحديث ما يأتي مترجماً مختصراً : « حتى اذا سطعت شمس الملة الخنفسية على بلاد المعجم بجوار ذوو الطباع اللطيفة من الفرس فضلاً عن العرب

واقبوا من أنوارهم ووقفوا على أساليبهم واطلموا على دقائق البحور والدوائر وتعلموا الوزن والقافية والرصف والروى والابطاء والاستاد والاركان والفواصل . ثم نسجوا على هذا المنوال . ثم يروى أبا ناساً أربعة لشاعر اسمه عباس مدح بها المأمون في مرو سنة ١٩٣ منها :

كس برين منوال ييش أزمين جين شعري سكفت
مر . زبان پارسی را هست تا این نوع یی
لك زان كفتم من این مدحت ترا تا این لغت
كبرد از مدح وثناء حضرت نو ذیب وزین
وترجمتها :

ما قال أحد قبلي شعراً كذا . وما كان للسان الفارسي عهد به . وإنما نظمت لك هذا المديح لتزدان هذه اللثة بمدحك والثناء عليك فأعطاه المأمون ألف دينار عينا ، وبالغ في كرامه — يستمر عوفي فيقول : « ولم ينظم الشعر الفارسي أحد بعده حتى كانت نوبة آل طاهرو آل البيت فظهر شعراء قليلون ، فلما كانت دولة السامانيين ازتفع علم البلاغة ، وظهر كبار الشعراء ،

ويروى شمس قيس : أن أول من قال الشعر الفارسي أبو حفص السعدي من سعد سمرقند وكان حاذقاً في الموسيقى ، وقد ذكره أبو نصر الفارابي وصور آياته الموسيقية وقد عاش حتى سنة ٢٠٠ هـ وينسب إليه هذا البيت :
أهوى كوهی دردشت چگونه دوزدا ؟

جوندار ديار في يار چگونه رودا ؟

« كيف بعد وهذا الظبي الجلي في الصحراء ؟ ، انه لا حبيب له فكيف يسير بنير حبيب ؟ »

فاما رواية عباس المروزي فان المؤرخ الباقى يرتاب فيها لأن غريباً ان يبدأ الشعر الفارسي بهذا الأسلوب المتين ثم يصت الشعراء أكثر من مائة سنة لا يؤثر عنهم شيء . وأما رواية السعدي فراجعة إلى العصر الذي بدأ فيه الشعر الفارسي وسجل لنا التاريخ بعض شعرائه . ومهما يكن من شيء فاتفق مؤرخي الآداب على أن أول شاعر فارسي عظيم هو أبو جعفر الرودكي شاعر نصر بن أحمد الساماني — الذي يسميه معروف البلخي (سلطان شاعران) ويقول فيه البلخي : أنه لا نظير له بين العرب والمعجم ، ويعترف الدقيقي والعنصري بتقدمه .



الادب الياباني

للأستاذ أحمد الشنتاوى

كانت اليابان إلى عهد قريب محجوبة عن انظار العالم المتحدين بحجب كثيفة لا يكاد المرء يتبين ما يجري وراءها بين أبناء تلك الأمة العظيمة من عادات وتقاليد. وكان الأدب الياباني بنوع خاص من أغمض مظاهر الحضارة اليابانية أمام الباحث. ويرجع ذلك إلى صعوبة اللغة اليابانية وغرابة أحرفها الهجائية وعدم إقبال الأدباء والعلماء على تعلمها. مع أن الأدب اليابانية غنية في مادتها متنوعة في أنواعها، وتعد بحق بين الآداب العالمية الرائعة

وليس هناك أمة من الأمم تكون آدابها جزءا هاما من تاريخها مثل أمة اليابان، فأفراد الشعب هناك على اختلاف طبقاتهم يستسيقون الشعر ويطربون لموسيقاه، بل هم شعراء بليغتهم لا فرق في ذلك بين النساء والرجال؛ فالأمة كلها تشترك في مهرجان الشعر الذي يقام في الإمبراطور كل عام، فيأخذ كل ياباني في إنشاد أطيب ما جادت به قريحته، وبذلكرون الإمبراطور، مبدى Meidi وهو جدميكادو اليابان الحالي كان يشجع هذه المهرجانات الشعرية، فيخصص الجوائز الثمينة للعائزين، وقد ألف هو نحو مائة ألف مقطوعة شعرية. أما شغف الياباني بياقي فروع الأدب فلا يقل عن شغفه بالشعر، لهذا كانت الآداب اليابانية غنية في مادتها رائعة في أسلوبها انسانية في معانيها، ولكن تلك الآداب العالية لم تنمض حدود اليابان الجغرافية لصعوبة اللغة التي كتبت بها، ثم زاد من صعوبة تلك اللغة دقة المعاني وعمق الأفكار التي حملها أباها اليابانيون، والتي لا تصدر إلا من أبناء الشرق الصميمين في مدنيهم الشرقية، ويكفى أن نقول ان كلمة « امرأة » لها في اللغة اليابانية ما يزيد على أربعة وعشرين لفظا مرادفا، كل لفظ يستعمل في حالة معينة وظروف خاصة حسب مكانة المرأة المخاطبة الاجتماعية أو الشخصية، أو درجة الاتصال بها، كذلك لفظة « أنت » لها ما يقرب من اثني عشر مرادفا؛ وهذا التعدد في الألفاظ يدل على مقدار الدقة التي يتوخاها الياباني في تعبيراته الاجتماعية والأدبية، وليس هذا في نظرنا دليلا على رقي اللغة أو غناها فقط، إنما يدل كذلك على الشعور الدقيق والحساسية الراقية، والآداب العالية هي في لبها وجوهرها احساس دقيق وشعور متدقق، وإذا كان فن التصوير الياباني له أثر واضح على الآثار الأوروبية فأننا لم نسمع قط أن الآداب الغربية متأثرة بالآداب اليابانية، ولم يمنع

هذا أن يكون العكس صحيحا، فالآداب اليابانية غاص بالتراجم العديدة لكثير من الآداب الأوروبية العالمية، لجميع المؤلفات القيمة من الإنجليزية وفرنسية وألمانية وروسية نقلت إلى اللغة اليابانية، وهذا دليل واضح على تعلق هذا الشعب بالآداب على اختلاف مساهماتها

والمعصر الذهبي للآداب اليابانية الكلاسيكية هو عصر « هان » Heian ٧٨٤ - ١١٨٦، إذ انتعشت فيه الآداب اليابانية وظهرت فيه عدة قصص غرامية وبارعة، كما أن لم يحن من الآثار الأدبية الاسعادية، ولعل أهم ما قامت الشعر في ذلك العصر هو ظهور أبيهين يابانيين شيرتين وهما « موراساكي » Murasaki و « سي » Sei و موراساكي اسم ياباني معناه زهرة النرجس وصاحبة أدبية في أسلوبها فخامة وحلاوة ولسغة لينة بينما « سي » ومعناها النور تمتاز شعورها العباس وأسلوبها السهل الممتنع، وأشهر قصصها لموراساكي هي قصتها المسماة غنسى Ghensu وهي وصف بحكم وصورة طلق الأصل وملاحظات دقيقة مذهشة عن الحياة في البلاط الياباني في القرن الحادي عشر، وهي كثيرة التشبه بالحياة في بلاط لويس الرابع عشر، وقد اتخذت لها بطلاسمته « غنسى » وهو عبارة عن دون جويان آخر أى مخلوق حربي كل معنى الكلمة، يأتي ما يشاء من الأعمال دون الطرادا كان ما يأتيه يتشئ مع الاعتبارات الدينية أو الانسانية أو الاجتماعية أو لا يتشئ، إنما كل همه ارضاء شيوته وملاذبه، فكانت له عدة محاطرات غرامية، وهذه القصة تعطيك صورة واضحة صادقة للحياة اليابانية الاجتماعية في عهد « موراساكي »، ولاتسل عن العذوبة والروعة التي كتبت بها الحوادث الغرامية التي خاض غمارها « غنسى » وكل ذلك في أدب وحشمة وتورع.

أما الأدبية الأخرى « سي » فكانت معاصرة لموراساكي وتعيش معها في البلاط الياباني، ولقد عرفت بالكبرياء والصلابة في رأيها، وكتاباتها ملائمة بالغد والتجريح، كذلك كانت لها قدرة على وصف الطبيعة وما بها من حيوان وطيور وصفا بليغا دقيقا

ولندكر هنا قطعة لها نصيرة في وصف فصول السنة الأربعة قالت: ان الذي يسحرني في الربيع هو النجم يتبادى في مشيته على قمم الجبال، بينما كل شيء يصي، رويدا رويدا، وقطع السحاب اللازوردية تسبح في الفضاء جماعات جماعات.

أما في الصيف فالذي يسحرني فيه هو الليل... يدجي منه القمر الخير... وتسحرني الليلة اللبلاء، حيث بطير في جوارها الخالوك الحياحب المشعة صا وهالك... وإذا تساقط المطر في تلك الليلة فانه يزيد في جمالها وسحرها...

في الأدب العربي

ابن خلدون في مصر

للاستاذ محمد عبد الله عنان

١

ترددت خلال العام الماضي دعوة لأحياء ذكرى المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون المناسبة اقضاء ستمائة عام على مولده^(١)، فاستجابت دوائر التفكير والأدب في جميع البلاد العربية لهذه الدعوة الكريمة، وأقيمت عدة حللات علمية للاشادة بذكره وخالده آثاره، ولاسيما في تونس سقط رأسه ومطلع مجده، وفي مصر مقام شيخوخته ومثوى رفاقه؛ وحملت المجلات والصحف جنا بمختلف البحوث عنه. ولكن ناحية من حياة المفكر الكبير لم تلق كبر عناية، تلك هي حبة مقامه بمصر. وصلته بها رواثره فيها؛ وهذا ما نريد أن نغني به في هذا الفصل نحية الفكرى المؤرخ والفيلسوف الاجتماعى الأشهر

غادر ولي الدين عبدالرحمن بن خلدون تونس في منتصف شعبان سنة ٧٨٤ هـ (أكتوبر سنة ١٣٨٢ م)، فوصل ثغر الاسكندرية في يوم عيد الفطر بعد رحلة بحرية شاقة. ويقول ابن خلدون في تعريفه عن نفسه، انه قدم الى مصر لينظم منها في ركب الحاج، وأنه لبث بالاسكندرية شهرا يهيئ العدة لذلك، ولكن لم يتح له يومئذ أن يحقق هذه العاية. فتعبد الى القاهرة^(٢)، وكان قضاء الفريضة حجة الطاهرة في مفادرة تونس، واستدان سلطانها ابى البباس في السفر الى المشرق. ولكن ما يقصه ابن خلدون من الحوادث قبل ذلك يدل على أن مفادرة تونس كانت فرارا؛ وكانت حشبة من بطش سلاطينها. وغدر بلاطها. وكان ابن خلدون قد انفق نحو ربيع قرن في خوض غمار السياسة ودسائس القصور، وتقلب في خدمة معظم

(١) كان مولد ابن خلدون في رمضان سنة ٧٢٢ هـ - مايو سنة ١٣٢٢ م

(٢) التعريف بابن خلدون، وهو ترجمة المؤرخ لثمة في ذيل تاريخه - راجع كتاب القبر (تاريخ ابن خلدون) ج ٧ ص ١٥٢ ويشمل هذا التعريف من ص ٢٧٩ إلى ٢٩٢ - وسعود إلى ذلك

سلاطين المغرب والاندلس، وذاق نعم الرياسة ونحن القمة مرارا، وعانى مرارة السجن والأسر وخطر الهلاك غير مرة. ولم تبدأ نفسه المضطربة بتخفف المغامرة والضال والدس الا في كهولته، يوم أعينه الحيل، وغلبته الأرزاء والحن، وفقد عطفه معظم القصور التي تقلب فيها، وأضحى يتبرم بقضاء تلك المهام السلطانية التي كان يتخذ قضاءها وسيلة للذهاب والرياسة. عندئذ عافت نفسه غير السياسة ودسائس القصر، فارتد في أواخر سنة ٧٧٦ هـ الى قلعة نائية منزلة ناحية أولاد عريف بالمغرب الأوسط؛ وهناك انقطع للبحث والتأليف مدى أربعة أعوام، وأخذ في كتابة تاريخه الضخم، وأنجز منه مقدمته الشيرة وعدة مجلدات أخرى. ثم رأى أن يهصد الى تونس ليستكمل مراجعته في مكاتبها. وكانت بينه وبين سلطانها ورجسته: فاستأنته وحصل على رضائه؛ وغادر مقامه الثانى الى تونس فوصل اليها في شعبان سنة ٧٨٠. وهناك اشتغل باتمام مؤلفه بتكليف السلطان ورعايته حتى أتمه ورفعته الى السلطان، ومدحه يومئذ بقصيدة طوييلة أوردها في تعريفه، وكان ذلك لنحو عامين من مقدمته الى تونس (٧٨٢ - ١٣٨٠ م)^١

وهنا ألقى ابن خلدون نفسه في معترك جديد من الدسائس، وقصده رجال البطانة بالكيد والسعاية لدى السلطان. وأغروه أكثر من مرة باستصجابها الى غزواته ومهامه الخطرة، فخشى ابن خلدون عاقبة السعاية، ولم يجد في تونس ما كان يشده من هدوء وسكينة. فانتهر فريضة وجود السلطان في تونس، ووجود سفينة مصرية في مرساها تقصد الاسكندرية. فألح على السلطان في الاذن له بالسفر لقضاء الحج، وركب البحر بمفرده تاركا أسرته في تونس. فوصل الاسكندرية كما قدمنا في يوم عيد الفطر سنة ٧٨٤ هـ^٢

كان مقدم ابن خلدون الى مصر اذاً، نوعاً من الفرار وخيفة البطش والمحنة. ولم يكن قضاء الفريضة قصده المباشر، بل كان حجة الظاهرة. وكان يرجو بلا ذنب أن يقضى بقية أيامه بمصر في هدوء.

(١) كتاب الصراج ج ٧ ص ٤٤٤ وما بعدها.

(٢) كتاب القبر ج ٧ ص ١٥١

في الأدب الغربي

قصة فيلسوف عاشق

الدكتور طه حسين

به إلهة الحكمة نفسها . وأن ينتهي به الأمر إلى أن يحلظ
أمة روس مائة يائس . ويتحد معها شخصاً واحداً يحبه
ويعبده . ويصوغ له ديناً قويا حصا . ويحاول أن يبسط
سلطان هذا الدين على الإنسانية كلها . أو على الإنسانية
المسيحية على أقل تقدير

أظنك قد عرفت هذا الفيلسوف . هو (أغست كونت)
مؤسس الفلسفة الوضعية ، وواضع علم الاجتماع . وصاحب
السلطان العظيم على العقل الفرنسي ، ثم الأوروبي . ثم
الأمريكي . عصر أطويلا من القرن التاسع عشر . وأظنك
قد عرفت هذه المرأة التي زاحمت الفلسفة في قلب (أغست
كونت) فكادت تغلبها عليه ، أو غلبتها عليه بالفعل : ثم
أصبحت إلهة للفيلسوف بعدها كما يعبد النصارى المسيح .
وكما كان الوثنيون من اليونان يعبدون أثينا أو أرتميس . ثم
أصبحت إلهة لجماعة من تلاميذ الفيلسوف المتفرقين في
أطراف الأرض . ثم أقام لها معبد لا يزال يجمع إليه إلى الآن
في باريس ، وأقيمت لها مناد متفرقة في أمريكا الجنوبية .
حيث لا يزال للفيلسوف أتباع يشابهونه في القسم المتطرف
من فلسفته

هذه المرأة هي (كلوتدي فر) وأظنك تظنن الآن
وقد سمعت هذين الاسمين ، إلى أني لا أخترع ولا أتبع
الخيال . ولا أضع قصة : وإنما أكتب فصلا من فصول
التاريخ . وليس من الضروري أن يلجأ الكاتب إلى الخيال
والاختراع . ليستطيع أن يتمتع قراءه . وأن يؤثر في نفوسهم
وبشرفها هذا المواطن الحادة المختلفة التي تعنت بها حين تحرر
لدة أو ألما . وحين تجد حبا أو بغضا . وحين تشعر بحزن
أو سرور . فقد تكون الحقائق الواقعة أبرع وأروع من
أحسن القصص الخيالية وأبدعها . ولكنني في حاجة إلى أن
أقدم اليك شخص هذين العاشقين قبل أن أحدثك عن عشقهما .
وأقص عليك ما كان بينهما من غرام .

نشأ أغست كونت مع القرن التاسع عشر . ولم يكد

لا أعلم أن الفلسفة تحظر الحب على أهلها . بل الذي أعلمه
أن الفلسفة حب كلها . وليس اسمها إلا لفظاً من ألفاظ الحب :
ولكن هذا الحب إذا احتل قلباً شغله عن كل شيء . واستأثر
بكل ما فيه من قوة وعاطفة وهوى . ولم يدع من ذلك للحياة
اليومية العامة إلا شيئاً يسيراً جداً .

فالفلسفة حب الحكمة . وهذه الحكمة شديدة الغيرة .
شديدة الأثرة ، لا تحب الشركة ولا ترضاها . ولا تسمح
لعاشقها بأن يصفوا بودهم شيئاً أو أحداً غيرها . فن فعل
ذلك أو شيئاً منه . فليس هو من الحكمة في شيء : وإنما هو
رجل مثلك ومثلي يغشى الأندية . ويضطرب في الشوارع .
ويعيش مع الناس . وليس له حظ من المدنية الفاخرة التي يسكنها
ويسيطر عليها عشاق الحكمة وحدهم .

لذلك كان أمر هذا الفيلسوف الذي أحدثك عنه عجبا من
العجب . وفنا من هذه الفنون النادرة التي لا يظفر بها المؤرخون
والقصاص إلا في مشقة وعسر . وإلا على أن تفرق بينها
القرون الطويلة والعصور البعيدة . والذي أعرفه أن التاريخ
لم يظفر قبل فيلسوف هذا العظم بعاشق قد دلته الحكمة .
وعبت بلبه جمال إلهتها العليا : ولكنه على ذلك استطاع أن
يشغف بالآلة أخرى يشركها مع هذه الآلة التي كان
يصورها اليونانيون في صورة أثينا ، تلك التي خرجت من رأس
أبيها زوس ، تامة الخلق ، مكتملة الشباب ، فيها جمال فتان :
ولكن فتنه تغلب بقوتها لا برقتها .

لم يعرف التاريخ عاشقا من عشاق أثينا استطاع كما
استطاع فيلسوف العظم ، أن يشرك معها امرأة من النساء في حبه
وهيامه ، وأن يختصا من هذا الحب والهيام بمثل ما اختص

بتوسط المعهد الثاني من عمره حتى ظهر تفوقه في العلوم الرياضية، ولم تكده تقدم به السن قليلاً حتى عرف له هذا التفوق. وإذا هو حنجة في هذه العلوم، وإذا هو لا يقف عنده ولا يقتصر عليها، وإنما يفكر في الصلة بينها وبين بقية أنواع المعرفة الإنسانية من جهة، ويفكر من جهة أخرى في الحياة الأبدية، والمتطرفة بعد الثورة والامبراطورية. يحاول أن يصنع تريباً حديداً للعلوم، ويوفق إلى ما يريد. ويحاول أن يجد نظاماً جديداً تقوم عليه الحياة الأوروبية. يوفق أيضاً. ويصبح لهذين النوعين من التوفيق صاحب الفلسفة الوضعية ومؤسس علم الاجتماع.

ولكن فلسفة الوضعية هذه، كانت حديثة نازرة لا تتأثر بالقلوب استئثاراً مطلقاً، ولا تقطع على أهلها سبيل الحياة. فسمحت لعاشقها (أغست كونت) أن يعيش كما يعيش الناس. وأن يحب كما يحبون. فعاش وأحب. ولكن أي عبثة وأي حب؟ تركت الفلسفة قلبه حراً، وشغلت عقله كله. فاختار في الحب بحسه وقلبه، ولم يختار بعقله. فبايأس ما اختار! اختار امرأة جسمته الأهران. وعلمته كيف تحمل الآلام. وكيف يتجرع الإنسان مرارة الغيظ: كانت هلوكا فاجرة. وخيل إلى (أغست كونت) أنها نقيّة طاهرة. فأحبها وأظهرت له الحب، وخطبها قبلت الخطبة، وتزوجها قبلت الزواج. وما هو إلا وقت قصير حتى تبين من أمرها ما كره. فخاصمها وقاومت، وأندرها فازدرته، وحاول أن يعاقبها فثارت به. وصبر الرجل وصابر حتى جن. وإذا هو يلقي نفسه في النار، وإذا الشرطة تستنقذه وتدفعه إلى المستشفى، فيقيم مع المجانين حيناً ثم يفيق فيستأنف الفلسفة، ويستأنف التعليم، ويستأنف الحب والعذاب. ويحين مرة أخرى. ويفيق وتقطع الصلة بينه وبين امرأته في غير طلاق، لأن القوانين الفرنسية لم تكن تتيح الطلاق يومئذ. فنشأ له إذاً موقف على الفلسفة والتعليم. في سنة ١٨٤٠ كان فيلسوفنا متحناً في مدرسة الهندسة Polytechnique. وكان بين الشبان الذين تقدموا إليه في هذا الامتحان غلام في الخامسة عشرة من عمره، هو (مكسيمليان ماري). وآه. الأستاذ الفيلسوف وسأله. فأجبه وأعجب به. ورأى أن الخير في ألا يقبله هذا العام: فأجله سنة ثم قبله بعد ذلك، واتصلت بين الأستاذ وتلميذه محبة لم تلت أن بلغت أنصافها. وإذا الفتى يميل إلى أستاذة فلسفته

وإلى الحرية خاصة، وإذا هو يستقبل من المدرسه وينبع الأستاذ ويتلذذ له ويعيش من التعليم في المدارس الحرة على كره من أمه. وفي سنة ١٨٤٤ يتزوج هذا الفتى ويعيش مع امرأته في بيت الأسرة. حيث يزوره الأستاذ من حين إلى حين. هناك باقي أخته (كلوتيند) فلا يكاد يسمعها ويتحدث اليها. حتى تزدري. منه وينبأ قصة التمرام.

وكانت كوتيلد هذه في الرابعة والعشرين من عمرها ولكن حياتها كانت ممتلئة بالحنوب. كان أبوها رجلاً من الطبقة الوسطى. عمل في جيش الامبراطورية وارتقى في آخر عهد الامبراطور إلى رتبة الكابتن. ثم سقطت الامبراطورية فأحيل إلى الاستبداع. وعاش من مرتبه العسكرية الضئيل. وكانت أم الفتاة من أسرة شريفة من أهل اللورين. فنشأت (كلوتيند) نشأة فيها بؤس وضيق: ولكن فيها احتفاظاً شديداً بتقاليد الطبقة الوسطى. ولم تكده تتجاوز الخامسة عشرة حتى تزوجت من رجل يحمل اسماً من أسماء الأشراف. ولكن حظه من الشرف كان قليلاً. وهو (ميودي فري). اقترن بالفتاة وعين جانياً للضرائب. وقضى مع امرأته أعواماً لا هو بالسعيد ولا هو بالذي يمنح امرأته قسطاً من السعادة. ثم أصبح الناس ذات يوم، وإذا هو قد ذهب إلى سفر مجهول، وماهى إلا أن يبحث عنه ويفتش عن أمره. حتى يظهر أنه قد بدد أموال الدولة. وشيئاً كثيراً من أموال الناس في اللعب. ثم هرب من فرنسا، إلى حيث لم يعرف من أمره شيء.

فظلّت هذه المرأة الشابة معلقة، لاهي بالمتزوجة، ولا هي بالمطلقة، محزونة، بائسة، لا أمل لها في الحياة. عادت إلى أسرتها تعيش بينها. وعكفت على نفسها تعيد وتبدى مايجول فيها من خواطر الألم والحزن، ثم أخذت تكتب ما تحس وتقيد ما تجد، وإذا هي كاتبة لها حظ من أدب ونصيب من خيال. وكان جمالها معتدلاً لا إسراف فيه. وكانت المحنة قد أفادت رصانة ورزاقاً، وأفاضت على شخصها شيئاً من الحب يعطف النفوس عليها. وأجرت في حديثها شيئاً من العذوبة الحلوة الهادئة، يجيبها إلى القلوب.

فلما لقيا الفيلسوف في بعض زيارته لأخيه، نظر إليها فلم تكده تبلغ نفسه، ونظرت هي إليه فأبكرته وأكبرته. أنكرت شكله الدميم، وصورته القبيحة، وخلفه المضطرب المرتبك، وأنكرت صوته الغليظ. وحديثه المتكلف. ولكنها

أعجبت بذكائه ، وأكبرت عقله وفلسفته . وسكنت عنده . وسكنت عنده . وأنصتت الزيارات ، واتصلت اللقاء . وأخذت نظرات الفيلسوف تستقر على الفتاة . وأخذت أذن الفتاة تظمن إلى حديث الفيلسوف ، ولكن أحداً منهما لم يشعر بأن صاحبه قد وقع من نفسه موقفاً خاصاً .

كان الفيلسوف يزور الأسرة ثلاث مرات في الأسبوع . وكان يجد لذة ودعة في هذه الزيارة ، كان يلقي ثلاثاً من النساء : أم تليذه وكانت مشغوفة بالتصوير . تحاول دائماً أن تصور الفيلسوف ، وزوج تليذه وكانت موسيقية تطربه بالتوقيع على البيانو ، وكاريتد أخت تليذه وكانت أديبة تحده عن الأدب وعن قصتها التي أنشأتها وسمتها « لوس » ورمزت فيها لحياتها الخاصة ، وربما أشدته شيئاً من شعرها . ولم يكن الفيلسوف يحب الأدب ولا يحفل بالشعر ، ولكنه كان يجد لذة في أدب كلوتيد ، ويذوق الجمال في شعرها وإن لم يكن هذا الشعر جميلاً ، وإن لم يكن مستقيم الوزن أحياناً . وكان الفيلسوف يتحدث إلى كلوتيد عن فلسفته الوضعية ، وعن مجلداته الخمسة التي ظهرت تذيب هذه الفلسفة في الناس ، وعن أنصاره وخصومه ، وعن دروسه في الفلك . وكانت الفتاة تعجب بهذا كله ، وإن لم تكن بطبعها مشغوفة بالفلسفة . وكان الفيلسوف يلتمس إرضاءها والتقرب إليها على غير شعور منه ، فيذكر لها براعة النساء في الأوهام والفلسفة . وكان هذا الحديث يروقها ويملق كبرياءها ، وكانت الفتاة تكبر في نفسها حين ترى الفيلسوف قد رآها لثقت أهلاً ، وذات يوم سقطت على الفيلسوف من السماء سعادة لم يكن يقدرها ولا يتظرها ولا يحسب لها حساباً . زاره تليذه ومعه أخته ، وكان الفيلسوف في جماعة من العلماء . وكان الحديث عليها عميقاً . فابتهج الفيلسوف وأعجبت الفتاة ، وجلست تسمع في إكبار وتناوب خفيف لحديث العلماء . ثم هممت تريد أن تنصرف فجمع الفيلسوف شجاعته كلها في يديه واستأذن الفتاة في أن يزورها في بيتها الخاص ، فأذنت . هنالك بدأت الخصومة بين الهة الفلسفة والهة الجمال . هنالك اضطرب . اغتت كونت ، بين العقل والقلب . وبين التفكير والحب . هنالك أخذ الفيلسوف يأل نفسه : ما قيمة هذا العلم الخالص الجاف ؟

وما قيمة هذا التفكير العميق العميق ؟ ومتى كان الرجل رجلاً سقوله دون قلبه ؟ ومتى كان الإنسان إنساناً بالتفكير دون الحب ؟ إن الإنسان لا يستطيع أن يفكر في كل وقت . ولكنه يستطيع أن يحب دائماً . وإذا فقد تكون الهة الفلسفة مسرقة في الطغيان . وقد يكون من الممكن أن يتخذ ، اغتت كونت ، رأسه مدحاً لآتيننا وقلبه معبداً لكلوتيد .

وابتدأت زيارة الفيلسوف للفتاة في بيتها . وإذا الحب يعلن ، وإذا الفيلسوف يلح في حبه ويملك إلى إقناع الفتاة بهذا الحب طرقاتاً . منها الملتوى ، ومنها المستقيم . ولكن كلوتيد لا تحب ولا تهوى ، إنما تعجب وتكر . فهي ترده عنها في رفق ، وتطلب إليه مودته دون حبه . فلا يكاد يعرف منها هذا حتى يضيق بنفسه وبالحياة . وحتى تضيق به حصته . ويسحر جسمه ورأسه عن احتمال هذا الخذلان ، فهو مريض يلجأ إلى السرير أياً ما . وهو مشفق أن يعاوده جنونه القديم . على أنه ييل من مرضه . ويحاول أن يجدد عهده بالفتاة . ولكنها تحظر عليه زيارتها في بيتها . وتعهده باللقاء عند أمها مرتين في الأسبوع . فلا يكفيه ذلك . فتعده بلقائه مرة ثالثة . فلا يكفيه ذلك أيضاً ، وتتصل بينهما كتب فيها حوار حلو ملؤه الحنان حين يصدر عن الفتاة . غنيف معوج ملؤه الفلسفة حين يصدر عن الأستاذ . ثم يتحيل هذا الحب في نفس الفيلسوف إلى شكل جديد . فليس هو حياً عادياً كهذا الذي يكون بين الناس . وإنما هو التقاء شخصين عظيمين قد خلقا ليلتقيا ثم ليتعاونتا على إصلاح الإنسانية وإنهاضها . هي إذن قد خلقت له ولن يدعها ولن يتخذ غيرها زوجاً . إذا ماتت زوجته النائية . ثم تستحيل هذه العواطف ويستحيل هذا التفكير إلى فن من الفلسفة . يضعه . اغتت كونت ، في رسالة . ويهدي الرسالة إلى الفتاة بهذا العنوان : « رسالة فلسفية في التذكار الاجتماعي » . في هذه الرسالة يتغير رأى . اغتت كونت ، في المرأة ومكانتها الاجتماعية تغيراً تاماً . فقد كان منذ أشهر يكتب إلى تليذه . ستوارت ميل ، فيرى أن ليس في المرأة أمل ولا خير . أما الآن فهو يرى المرأة عنصراً أساسياً في الإصلاح الاجتماعي الذي وقف نفسه عليه . وقد سرت الفتاة بهذه الهدية . وكبرت في نفسها

فزادت الفيلسوف مع أمها شاكراً له .

هنالك نشط الأمل وتجددت الحياة ، واعتقد الفيلسوف أنه سعيد ، واستأنف الحاحه على الفتاة ، واستأنفت الفتاة مدافسته عن نفسها ، واحتالت في ذلك حتى زعمت له أنها قد أحبت من قبله قتي كان لحبها أهلاً ، وأحبها الفتى وسعد بهذا الحب ؛ ولكن لم يجدوا إلى الزواج سبيلاً ، لأن الفتى كان معلقاً مثلها بحاصم امرأته ولا يستطيع لها فراقاً . فبست من الحب والسعادة . وأزمنت أن تنصرف عن لذات الحياة أبداً . ولكن الفيلسوف مغرم ، والغرام لا يعرف اليأس ، وهو إذا كان صحيحاً قويا قد يتحول ويتشكل ، ولكنه لا يزول . وما الذي يمنع غرام كوفت أن يتخذ شكلاً فلسفياً ولو إلى حين . لقد كان عود نفسه الحرمان منذ دهر طويل ، فألقى القهوة منذ عشرين سنة ، وترك التدخين منذ عشر سنين ، ثم ألغى النيكوتين ثم ألغى الفاكة ، ثم اتخذ ميزاناً يزن به ما يلائم حاجة جسمه من الطعام الحسن ، وكان ربما يكتفى بالكسرة من الخبز يتبلغ بها ، وهو يفكر في أخوانه من الناس الذين قد لا يظفرون بمثلها . ومادام قد سيطر على نفسه إلى هذا الحد ، وعودها هذا الحرمان في الطعام والشراب ، فإنه لا يزيد هذه السيطرة وماله لا يعود نفسه الحرمان لا في الحب بل في لذات الحب . إذا فليق حبه قويا حاراً ؛ ولكن ليظل هذا الحب نقياً طاهراً مجدياً من كل لذة ، وليتظر ، وليجنب اليأس . فكل شيء يدني الفتاة منه ، وكل شيء يدينه من الفتاة . لقد أصبحت زميلة له منذ نشرت بعض الصحف السيارة لها قصتها التي وضعتها عن نفسها فأصبحت كاتبة مثله تتحدث إلى الناس في الأدب كما يتحدث هو إلى الناس في الفلسفة . هما إذاً زميلان . بل هما أكثر من زميلين ؛ فقد أخذت الفتاة تدنو من مذهب في الفلسفة . وتحس ميلاً إلى آرائه الاجتماعية ، وتكون منه مكان التليذ والنصير . فليحب إذاً وليصبر . وفي أثناء ذلك كانت أم الفتاة تقول لها : لولا أن مسيو كوفت قبيح دميم لقلت أنه يملكك ويدور حولك كما يدور العاشقون حول من يحبون . ومع ذلك فإن من الحق عليه لك ولنفسه أن يفكر في أن هذه الزيارات المتصلة المنظمة ، لا تليق بك ولا به لأنها تخالف العرف المألوف أشد الخلاف .

« بتلى »

نظر مجلة المجلد التي صدرت في أول فبراير سنة ١٩٢٣

الوادي^(١)

للشاعر الفرنسي لامرتين

ان قلبي المكسوم . المنقطع جبل رجائه حتى من الأمل . لم يزعم الأقدار بعد الآن بابتها لانه كما كان يزعمها من قبل ولكن أمها الوادي . يا مآراي في أيام طفولتي ، افسح لي مجالاً — ولو ليوم واحد — فأعيش في ربوعك في انتظار المنون .

هاهي ذي الطريق الضيقة المؤدية إلى ذلك الوادي المظلم : هنا . في أحضان هذه الروابي ، تقوم أشجار تلك الغابات الكثيفة ، فترسل ظلها على وجهي الشاحب . وتحوطني بكون مكر

وهناك جدولان يجريان تحت « جسور » من الأعشاب المخصوصة ، فيرسمان في أنسبائهما تعاريج الوادي ومنحدراته . وتراهما بين الفينة والفينة . يمزجان توجاهتهما الفضية بألحان خريبرهما العذبة ، ثم يتلاشيان قريباً من المنبع . بعيداً عن أعين الناس .

وأياي في أنسبائها أشبه بهذين الجدولين ! فهي تمضي وتلاشي دون أن يشعر بها الناس . ودون أن تحدث ذلك الحرير العذب ! أما تقسي الكثيرة الملتاعة فحيات أن تقني بحياة يوم جميل من أيام حياتي

ان خمائل الوادي الفيئانة ، بظلمها الخيم . دفعتني لقضاء النهار (٢) كله على ضفاف جداولها . فنفسي الحساسة تنفوس على أنغام خريبر المياه ، كما ينفو الطفل في مهده على صوت المناغاة .

هناك تحوطني الطبيعة بأسوار من العشب الأخضر . وبأفق محدود ، لكنه فسح لناظري .

(١) نظم لامرتين هذه القطعة الشعرية المنازة في أواخر عام ١٨١٩ . بعد أن قام في الوادي الذي بينه Féroutlet سنة كاملة .

(٢) أصل هذه الكلمة Ponts وقد احتفظا بمعناها المصريح

(٣) ما يذكر الشاعر يوماً مشرقاً كذا يموت فيه غرقاً في بحيرة صغيرة أو لا نشاط أحد أحياه إيمون غيرير .

اننى أحب أن أثبت قدى ، وأن أبتعد عن الناس لاسمع خرير
المياه ، ولأتمتع برؤية السماء .

لقد رأيت فى حياتى أموراً كثيرة ، وشعرت بأحاسيات جمة .
وملأت أيامى عشقا . والآن جئت أستوحى الطبيعة فى هدوتها الشامل .
أبتها الأماكس البهجة الجميلة ! كوني لى تلك الضفاف التى بنى
الانسان قريبا كل شئ . فقد أصبح سر سعادتي فى النسيان .

ها بطمئن قفى : هنا ترتاح نفسى : هنا تأمظ صوصاء العالم
البعد أنفاسها الأخيرة كما يلفظ الصوت البعيد أنفاسه حين تبعده
الثقة قبل أن يصل مع النسيم الى الأذن الحائرة .

من هنا ، ومن خلال هذه الغيوم الصافية ، أرى ماضى حياتى
يتخفى فى ظلام داس . تاركا فى نفسى ذكريات حية لحي . كما ترك
اليقظة فى نفس المستيقظ صور خيالات جميلة لحلم لذيذ قد استفاق منه .

يانفسى ! اخذى حظك من الراحة فى هذا المنزل الأخير كما
يأخذ المسافر الطافح قلبه بالآمال . حظ من الراحة ، قبل أن يدخل
أبواب المدينة . يستشق هبة نسيم المساء المعطر

ولنفص نعالنا كما يفعل هذا المسافر ، لأننا لن نمر ثانية فى
هذه الطريق التى اجتزناها مملوءة بالغبار . ولتذوق مثله أيضا ، فى
آخر مرحلة من طريقنا . هذا الهدوء الذى يبشرنا بضجعتنا الأبدية .

أيها الانسان ! ان أبامك المكدودة ، التى تشبه فى حركتها
وقصرها أيام الحريف ، تحدر بك كما ينحدر الظل على جوانب
المضارب . فالصدقة . تخونك ، والرحمة تعرض عنك ، الى أن
تتردك فى طريق القبر وحيدا .

ولكن الطبيعة هنا تدعوك اليها لتلك أشواقها ، فارتم فى
أحضانها .

عد ما يقلب لك كل شئ . ظهر المحن ، عند ما يخونك كل شئ .
وبمرضك . ترى الطبيعة على حالها المعهودة . فالشمس نفسها
تشرق طيلة أيام حياتك .

ان الطبيعة لم تزل كما كانت عليه بالامس . نرشدنا تارة بنور
حقيقتها . وتضلنا أخرى . فلا تأسف أبها الانسان اكل ما تضيعه
من منافع الحياة الدنيا . وتعال نعد ذلك الصدى والحن تلك
الموسيقى العلوية كما كان يتعدهما « فيناغورس (١) » من قبلك .

دع انطوف بناج النزلة فى سمانها نهارا . والاشباح فى
مخاربا ليل : واسح مع الغيوم على بساط الريح : واخترق غابات
الوادى الظليلة مع أشعة ذلك الكوكب الحمى .

ان الله خصك أيها الانسان بالعقل والعطية لكى تتحقق بهما
وجوده . فاستجله فى صحيفة الطبيعة : فان فى سكونها وهدوتها
صوتا يهتف باسمه .

من منا لم يسمع هذا الصوت يندوى فى أعماق قلبه ؟ .
مجد كزما

بيروت

(١) هو عالم وفيلسوف يونانى ، عاش فى القرن السادس قبل المسيح . لعشق
الطبيعة . وهو مدين لها بكثير من بحوثه العلمية . كسرعة الصوت فى الهواء .
وأجاب حدوث الصوت . الخ . .

oooooooooooo

غيرة

قد زرعتا بين أفواف الربا وردة الحب لاقبال الربيع .
داعبتا عند إقبال الصبا نسمة الآصال والصبح الوديع .

....

خلع الروض شذاء بعدما وحبتا اللون وجنات الحبيب
فهى كالنار ، ولكن عندها تشتهى الأفواه ثقيل اللهب

....

كان قلبي مسرح الود الندى وسفته العين أمواه الحياة
وعزير أن أرى غرس يدي تحتويه بين عيني الشفاء

....

وردة الحب استباحث أدمعى وتولت عند إقبال الحريف
عذبت قلبي وأبكته معى وأرتنى كيف إذلال الضعيف

، محمود محمد متصر ،



أسرع كمره فى العالم

صورة تؤخذ فى جزء من ٤٠٠٠٠ من الثانية

إذا أردت أن تصور جسماً ثابتاً ، كتمثال من الحجر ، كفاك فى ذلك أن تثبت أمامه كمره غايه فى البساطه ، تتكون من خزانة مظلمة ، بسطحها القريب من التمثال عدسة تركز الأشعة المنبعثه منه على فلم حاسر فى السطح المقابل من الخزانة . فترسم عليه الصورة المرغوبه . ثم يستخرج الفلم فى الظلام ويثبت بالطرق المعروفة . ومن أهم الأمور التى يراعىها المصور مدة التجليه Exposure أى مدة تعريض الفلم للضوء . وهى تتوقف على أمرين : أولهما درجة احساس الفلم . وثانيهما شدة الضوء الذى ينير التمثال . وفى المثل الذى نحن صدهه يكفى أن يغطى المصور عدسة هذه الكمره البسيطه بورقه مقواة سوداء . فإذا حان وقت التصوير جلى عن الفلم مدة ثانية أو ثانيتين أو ثلاث أو أربع حسب ضوء الشمس الحاضر . وذلك بازاحة الغطاء ثم رده سريعاً الى مكانه .

هب بعد ذلك أنك تريد تصوير رجل من لحم ودم ، وهب أنك وقفه مكان التمثال وجليت عن الفلم ثلاث ثوان أو أربع ، فهل تدرى ما الصورة التى تخرج لك ؟ صورة مغبشه على الأغلب لأن الانسان ليس له سكون الحجر ، فهو لا يستطيع صبراً على الوضع الواحد . فيتحرك فينخذأ وضاعاً كلها ترسم على الفلم فتخرج الصورة مسهمة الحدود متضاعفة الخطوط مختلط باضها بسوادها . فتجد نفسك عندئذ فى حاجة الى تقصير مدة التجليه حتى لا يتحرك الرجل . ومعنى هذا أنك بحاجة الى زيادة حساسية الفلم ، ومعنى هذا أيضاً أنك بحاجة الى زيادة شدة الضوء . فبدل أن تصور فى نور الصباح الأول أو فى نور الماء الأخضر . تصور والصباح ضاح مشرق . وعندئذ تكفىك بعض الثانية عن الثوانى الكثيرة

هب بعد هذا أنك تريد أن تصور رجلاً وهو يسير ، أو حيواناً كقطه أو كلب لا يستطيع أنت أن تريده على السكون ، أو هب أنك تريد أن تصور حصاناً وهو يجرى . أو طائراً إذ يطير ، أو قطاراً ينبى الأرض . فقد لا تنفعك تجليه الفلم ثانية أو عشر الثانية ، فالقطار

الذى يسير بسرعة ٦٠ كيلو متراً فى الساعة يقطع فى الثانية الواحدة نحواً من ١٧ متراً . فاظركم صورة تطبع عندئذ على الفلم فى الثانية الواحدة ، وتخيّل مقدار تغيّش الصورة المحاصلة .

فكان لابد من تقصير مدة التجليه تقصيراً كبيراً كأن تكون مدة التجليه جزءاً من مائة من الثانية أو من مائتين ، ولما كانت اليد الانسانية لا تستطيع كشف العدسة وتغطيتها بهذه السرعة كان لابد من ابتداء غطاء . تحركه قوة آلية كقوة الزنبركات مثلاً ، وتدخلت الكيمياء لتزيدنى حس الأفلام لكى تتأثر بالضوء فى المدة القصيرة الجديدة . وتقدم الانسان فى اختراع الكمرات السريعة حتى أصبح تصوير المتحركات أمراً سهلاً لا يكلف تعباً ولا اجهاداً . وأصبح ما لوفى حتى لا يثير استغراباً ولا إعجاباً . وصرفنا نحلل بها حركات الحيوان لنعرف منها تفصيل سيره . ونحلل حركات الطائر لنذكر منها كنه طيره . وصرفنا نجمع هز الوحدات التى تحللت اليها الحركة . والعناصر التى قسمت اليها أفعال الحيوان والانسان . فنعرضها على الشاشة البيضاء متتابعة متواصلة . فتحكى من حوادث الوجود ما نشاء أين نشاء متى نشاء . ولكن من حوادث الوجود ما يحدث فى مدد قصيره تنافس

العين فى لحظتها والخاطر فى لمحته . فلا بد من تقصير مدة التجليه إلى ما يبقى لحظة العين ويقاصر لمح الخاطر . وإذن فلا بد من الزيادة فى حسابه الأفلام . ولا بد من زيادة الضوء حتى يزيد على ضوء الشمس . فجاء الباحث بعد الباحث ، وعاون المفكر المفكر . وتضافر الطبيعى والكيميائى . والرجل النظرى والرجل التطبيقى : حتى جاءت الأنبياء حديثاً بأسرع كمره عرفها الزمن . كمره إذا صدقت الأخبار العاجلة تصور الصورة فى جزء من أربعين ألفاً من الثانية ، اخترعها أستاذان من أساتذة معهد الصناعات بماساشوسيت بالولايات المتحدة . وهى تعتمد بالطبع على فلم شديد الحس . ولكن أكبر اعتمادها على دورة كهربائية تستطيع أن تحدث برقة ضوئية أسطع من شمس الظهيرة مرات وهى تعدل فى شدة ضوئها ٤٠٠٠٠٠ مصباح كهربائى مركزة كلها فى صعيد واحد ، قوة الواحد منها خمسون وطاً .

وقد استطاعا أن يصورا بها أموراً عدة لا تستطيع أن تصورها الكمرات السريعة المعروفة . نذكر من ذلك صورة للواء النازل

الانفلونزا أو النزلة الوافدة

للدكتور سامى كمال

النزلة الوافدة مرض مستوطن في القطر المصري، فلا يمر شتاء دون أن نسمع ببعض إصاباته ؛ لكن هذه الإصابات لا تأخذ شكلاً وبائياً ، وتظهر عادة في فصل الشتاء مقرونة بسابق التعرض لبرد شديد أو للرطوبة ، وعاقبتها دائماً حيدة . وتظهر هذه النزلة الوافدة في جميع أنحاء العالم ، كما تظهر عندنا ، ويكثر عدد المصابين بها في البلاد الباردة . وتقل إصاباتها عادة عند حلول فصل الربيع .

وهي تتقل بالعدوى بواسطة جراثيم خاصة ؛ تلك الجراثيم عبارة عن بذور تنفوت في حيوتها وتأثير افرازاتها . لأن الجراثيم لا تؤثر إلا بفعل هذه الافرازات التي هي من أقوى السموم وأشدّها فتكاً بالإنسان .

فإذا صادفت أجساماً قوية قارمتها ، أما اذا عرضت لها أجسام ضعيفة فإنها تقوى عليها ، وتشتد باتتقالتها على غيرها ، وتزداد قوة اذا تهيأت لها ظروف خاصة . كما حصل ذلك في نهاية الحرب العظمى عام ١٩١٨ اذ وجدت الإنسان ضعيفاً جائعاً مبهوك القوى والأعصاب ففتكت به ، وماتت بالنزلة الوافدة في العالم عدد يفوق عدد من مات في ميادين القتال . هنا تكون وبالا ، وهناك تكون خطراً على العالم أجمع . حيث تنقل مع المسافرين بسرعة الطائرات والسيارات .

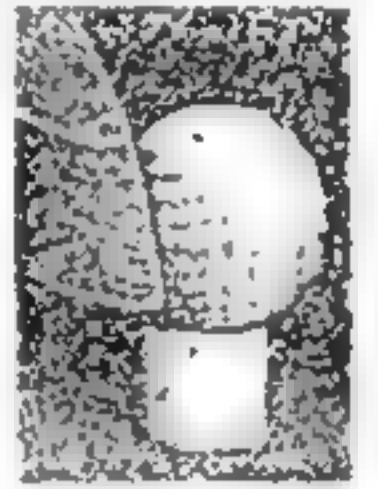
وهذا النوع من النزلة الوافدة الوبائية يسمى عادة باسم

وتكشف لي في طبقات الدنيا التي أعرفها وفي حواشيا ذى أما سعيد بجهلها . ولأنى ان قبلتها لم يكن للفتة السكون موضع من قاموس لغتى . ولا أصبحت أحس في هدوء هذا الليل وأنا أكتب هذه الكلمة على مكنتى هذا الساكن . وفي حجرى هذه الحادثة كأنى أكتبها في عربة رجراجة من عربات الترام اذ تمر بنهاراً في أشد أنحاء المدينة صخباً وجلبة . وأخيراً لأنى ان قبلتها وقبلت زيادة الاحساس بالزمن أصبحت ثانيتي ساعة وأصبحت ساعتى سنة وسنوات ألوفا .



الله . وتصور

من الصنوبر ، فهذا يخرج تحت ضغط وتسير قطراته في السبل المدفع بسرعة كبيرة . وإلى هذا فهي تتحرك في كل جهة بحركات تختلف سرعاتها باختلاف تدافع القطرات واتجاهها ، وتراها في الصورة المرفقة كأنما قال لها الله اجدى مكانك فجذبت ، وتراها على غير ما تراها العين من الانسجام والملاسة .



المغرب والكرة

ومن ذلك صورة للضرب إذ يضرب به اللاعب الكرة في اللعبة المعروفة بالجلف ، فانك ترى الكرة المصنوعة من المادة الصلبة القوية قد انبسطت من قوة الضربة ؛ ولأن انبطاحها لا يستغرق إلا جزءاً من الثانية في غاية الصغر كان من المتعذر على العين أن تراه ؛ وكان من المتعذر على الكرات العادية أن تجعله . وبقي أمراً مفروضاً حتى أتت الكرة السريعة فجعلت رأى العين ، والعين جبهة الحجب ، إذا رأت قطعت قول كل خطيب .

على أنه لا يفوتنا أن تنبه إلى أن كل صورة لشيء متحرك . مهما كان نوعها ، وبأى كمرّة صورت ، ما هي إلا مجموعة من صور لا حصر لعددتها . هب أنك أخرجت يدك من جيبيك فوضعتها تحت ذقنك ؛ وهب أن هذا حدث في ثانية واحدة ، فانك لتجد يدك اتخذت عدداً من الأوضاع لا حده . فادامت يدك في حركة مستمرة ففي كل من أجزاء الثانية ، مهما صغر ، وضع خاص به يختلف عن وضع الجزء الذي يليه من الثانية . ومن الطبيعي أننا كلما زدنا للثانية تجزئاً زادت هذه الأوضاع عدداً ، ولكن كذلك كلما زدنا في التجزئة قل الخلاف بين أشكال هذه الأوضاع العديدة حتى تستجز العين الإنسانية عن ادراكه . فصور الكرة السريعة المرفقة هي في الواقع عدة من صور عجز حس الإنسان عن ادراك الفروق بينها . لحسن الإنسان لدقائق المكان محدود ، كما أن حسه لدقائق الزمان محدود .

ولعل هذا التلم في الاحساس نعمة من نعم الله ، ولو أن هذه الحدة في الاحساس بالزمان والمكان أعطيت لي هبة لترددت كثيراً في قبولها . لأنى ان قبلتها لم أجد في الكون شيئاً ناعماً ، حتى أكثر المراتبا انصفاً لا تصيح في عيني كسطح الصخرة المتهم . ولأنى ان قبلتها تراءت لي الدنيا تموج بمخلوقات أنا الآن عنها أعمى .

بحوث مصائد الأسماك وماهيتها

للدكتور حسين فوزى

مدير إدارة أبحاث المصائد

ليس المخلوق الحى مع ما هو عليه من مظهر الوحدة سوى مجموعة مركبة من مواد عضوية وغير عضوية . تربطها ببعضها قوى طبيعية هى نفس القوى الصادرة عن الكون المحيط بها . لذا يتقدم الباحث لدراسة هذه المجموعة كوحدة حية أولاً . ثم كجزء من ذلك الكل أو الوسط الذى يعيش فيه ثانياً . وقد أطلقت كلمة « بيولوجيا علم الحياة » على مجموع هذه الدراسات : دراسة أشكال المخلوق الحى وأوضاعه فى الفضاء . وهى « المورفولوجيا » ودراسة أوصاف أجهزته وأعضائه وهى « علم التشريح » والبحث عن تطور هذا المخلوق من البويضة حتى يصبح كامل الخلق وهو (اليمبريولوجيا) « علم الأجنة » ودراسة وظائف أجهزته وأعضائه وهى (الفيزيولوجيا) . ودراسة الحياة وقوانينها وتطوراتها الكونية . والوسط الذى تعيش فيه المخلوقات باحث عن غذائها . والغازات الضرورية لتنفسها . وكذا أثر هذا الوسط فيها . وتوزيعها حسب تطوراتها . تلك هى (الأيكولوجيا) . والأحياء المائية تميز من غيرها بأن الوسط الذى تعيش فيه هو الماء . وهذا النوع من الحياة هو أهم الفروق بينها وبين الأحياء الأخرى . لأنها فيما عدا ذلك تنفس وتغذى وتناسل وتؤدى أعضاؤها نفس الوظائف التى تؤدىها الأحياء الهوائية . وإنما تتطور هذه الوظائف وينتشر شكل المخلوقات المائية تبعاً للوسط الذى فرض عليها مظاهرها الخاصة .

والأسماك فصيلة من المخلوقات المائية استرعت اهتمام الإنسان منذ أقدم العصور لأنها مصدر هام لغذائه . فالإنسان منذ النشأة الأولى كان صياداً قصاباً . على أنه نمت أحياء مائية أخرى انتفع بها الإنسان أما لغذائه أولاً فغراض نفعية أخرى . نكتفى منها بالإشارة إلى الصدفيات (كالجنودفلى وأم الخلول) ، وذوات القشور (كالجنبرى واللامجوس) لغذائه . وإلى الأسفنج وحيوانات اللؤلؤ والمرجان واللاحف المائية والتاسيح (الباقعة والجلود) لزيت ونظافته . وإلى الدرافيل والحيتان لصنع الجلود واستخلاص الزيوت . وإلى بعض الأسماك لاستخلاص سماد « الجوانو » والفراء الحيوانى والمستحضرات الطبيعية كزيت كبد البكلاء (زيت كبد الجوت) وإلى الأعشاب البحرية التى يخرج منها اليود وينتفع بها فى الأسمدة .

الوطن الذى نشأ فيه . ففى عام ١٩١٨ كانت اسبانية . وهى فى هذا العام انجليزية .

وكل الأخبار تدل على أن خطر هذه الوباءة الانجليزية أقل بكثير من سابقتها الاسبانية . وأوبئة الوباءة تتشابه فى مجموعها من حيث الأعراض . لكنها تتفاوت من حيث مضاعفاتها وخطرها على العموم .

ومدة حضانتها . أى من وقت العدوى إلى وقت ظهور أعراضها لاتزيد على اليومين .

أما أعراضها فزكام واحتقان فى أغشية الحلق والمجارى الهوائية مع قشعريرة وحى وشعور بتكسر فى الجسم وعطس وسعال . وهى سريعة العدوى خصوصاً لأن أكثر الناس لا يتعكفون فى دورهم عند الإصابة بها . بل يستمرون فى مزاوله أعمالهم . يذهبون ويحيثون ويختلطون بالناس .

وهم لو عرفوا كيف تحصل العدوى وعزلوا أنفسهم فى بيوتهم وحجراتهم لدرأوا عن أنفسهم وعن عائلاتهم وعن مواطنهم شر هذا المرض .

إن العدوى تحصل بواسطة العطس أو السعال اللذين ينقلان جراثيم المرض مباشرة إلى السليم .

لذا يتحتم على المريض أن يتحاشى العطس أو السعال فى وجه الناس ليفعل ذلك يميناً أو شمالاً .

كذلك من يخالط المرضى يجب عليه أن يحتاط بوقوفه جانباً غير هباب ولا وجل . يخدم فى رفق ثم بغسل يديه . ويستعمل مطهرات الفم والأنف . ويجب أن تكون غرفة المريض معرضة لأشعة الشمس يتجدد الهواء فيها مراراً كل يوم ثم يلزمها المريض عند أول الشعور بالمرض . ويستعمل الأطعمة السائلة والمقرقات والمشروب الساخن وهو خير علاج بجانب الأسيرين والكنين عند الاحتياج حسب أمر الطبيب مع استعمال مطهرات الأنف والخلق .

ومن خير الاحتياطات الابتعاد عن حضور الاجتماعات العامة خصوصاً فى المحلات المظلمة . واستعمال مطهرات الأنف كزيت الاوكالبتوس صباحاً ومساءً . ومطهرات الخلق مثل الماء المضاف إليه نقط اليود والابتعاد عن المرضى .

ونقصر هذا المقال على بحوث الأسماك وهي بحوث يمكن تطبيقها على الأحياء المائية الأخرى مع بعض تغيير في الطرائق بقضى به تكوينها المختلف ونوع حياتها الخاص .

أول ما ينبغي به من بذل شأننا من الشؤون كبحر أو بحيرة هو أن يعرف ما تحويه التربة من معادن في طبقة مخصوصة ، أو ما يعيش في البحيرة من مخلوقات نافعة أو ضارة . لذا كان أول ما بهم خير المصائد هو أن يستعرض المخلوقات التي تعيش في مياهه فيعمل لها سجلا ، وعلى أساس هذا السجل يستطيع أن يتعرف طرائق بحثه . وإن مؤلفا جليلا مثل « أسماك النيل » (لولانجي) أو « أسماك البحر الأحمر » لكلوتسجر . لمحاولة موقعة في هذا السيل . فعلى خير المصائد أن يجمع المعلومات من المصائد المصرية المختلفة عن أنواع الأسماك التي تدخل أسواقها ، بل والأنواع الأخرى التي لا يهتم بها صيادونا ولا يعرفون طرق صيدها . وليس عملا قاعة بجميع أسماك المياه المصرية سهلا كما يتراعى لأول وهلة . فقد ظهر كتاب ووصف مصر ، الذي قامت به البعثة الفرنسية الملاحقة بحملة يونانيرت إلى يومنا هذا لم تبلغ بعد قائمة أسماكها حد التمام خصوصا في البحري الأحمر والأبيض . فتمت أسماك لا يعرف صيادو البحر الأبيض طرق صيدها (وأخصها الأسماك الرحل) . كما أن طرق الصيد في البحر الأحمر لما نزل على حال من البساطة يتعسر معها الحصول على جزء كبير من الأسماك التي تعيش في ذلك البحر .

فأمام أخصائي المصائد في مصر سنوات طويلة بقضونها في البحث المتواصل حتى تتم قائمة الأسماك المصرية مرتبة حسب الأنواع والفصائل والاجناس . كما ينبغي أن تدعم هذه القائمة بمنحرف كامل يضم نماذج من جميع أسماكنا جيدة الحفظ جليلة العرض .

كذلك ينبغي الأخصائي معرفة مواطن الأسماك . فتمت أسماك تقطن الماء العذب وأخرى تقطن الماء الأجاج . وغيرها تعيش في البحار . أو تنتقل بين الماء العذب وماء البحر . ومن الأسماك البحرية ما تعيش على القاع . وتمتص نوعا من القاع . وميا أو صخريا أو طينا . ومنها ما تنشئ المنحور وفرجانها . ومنها ما تعيش في طبقات الماء العليا أو السفلى متقلبة بين مناطق البحر سريعة الحركة .

وفي مياه النيل يهنا أن نعرف مواطن كل نوع من أسماك . تلك التي تأوى إلى الحشائش أو تعيش على القاع الطيني . وتلك التي تقاوم التيار أو تقاوم كبة من الملوحة نسح لها بالحياة إذا ما وصلت مع المصارف إلى بحيرات ذات الماء الأجاج .

فإذا عرفنا مواطن كل نوع من السمك وجب عنا أن ندرس نوالده . فعد ما تبلغ الأسماك طولا معروفا ، يختلف باختلاف الأرواح

يصبح جهازها التناسلي . فتملى . مبايض الانثى بأجسام كروية بندر للعين المجردة كما يظهر ذلك بفحص قطعة من البطارخ . وليست هذه إلا مبيضا غملا يوبضات أنثى البورى الناضجة . وأذ تنضج الانثى فهي « ادة بالمبيض » . وذلك بأن تلقى بالآلاف من يوبضاتها في الماء . إما على قاع وعلى أوطى . أو بين الحصى أو الأعشاب المائية أو في شقوق الصخور . أو في أوكار محفورة في الطين . أو بين طبقتين من الماء . حيث تبقى البويضات عائمة بفعل ثقلها النوعي وكذا ينضج الذكر عند طول معلوم يقرب من طول الانثى . وينتج جهازه التناسلي خلايا سريعة الحركة لاتراها العين المجردة . قى موسم التوالد تتألف الذكور والاناث . فالتكاثر تلقى الانثى يوبضاتها في مكان من الأماكن التي سلف ذكرها حتى يتقدم الذكر إلى ذلك المكان ليلقى بملايين من تلك الخلايا السريعة الحركة بجانب البويضات التي لا حراك بها . وتسرع تلك الخلايا إلى الاندماج في البويضات . وقد يجمع للبويضة بضعة من تلك الخلايا . فلا ترضى منها بغير واحدة تتغلغل داخلها وتخرج بها كل الامتزاج . وينبعث هذا الاتصال في البويضة حياة جديدة أذ تنقسم — وهي خلية واحدة — إلى ملايين من الخلايا تتطور حتى تصبح مخلوقا صغيرا لا يشبه والده فهو محوط بنشاء وقيق هو غشا . البويضة الخارجى يذيه ثم يخرج إلى الماء مزودا بكيس عى يكون غذاءه في الأيام الأولى . فإذا ما نفذ ذلك الغذاء أصبح الجنين سمكا صغيرا يسمى وراء غذائه . وهو لا يزيد طولا على بضعة ملليمترات . ولا يزال يكبر حتى يبلغ بدوره الطول الذى تنضج فيه أعضاؤه التناسلية ان ذكرنا وإن أنثى .

على أن السمك وقد بلغ ذلك الطول لا يبيض طوال السنة لأن عملية نضوج الجهاز التناسلي عملية دورية تلغ تماما في وقت معين من السنة ! يختلف باختلاف الأنواع : فمن أسماك تعيش في الشتاء وأخرى في الربيع أو الخريف أو الصيف . وقد يستمر مبيضا أباما أو شهورا . وكذا يتبع الذكر تطورا موازيا لتطور كل أنثى من نوعه .

ونهم أمثال هذه الحقائق — كعرفة عمر الأسماك والتلوذ الذى ينضج عنده جهازها التناسلي — من أهم القواعد التي يستند عليها التطبيق العملي . لأنه لما كان من الضروري أن يسمح لا كمر عدد من الأسماك بالتوالد وجب أن نعرف وقت هذا التوالد خاية النوع برد عادية الصياد عنه . وهذه الخاية لا تناول الأيوس فحسب بل يجب أن تناول البويضات وأنزاحها

وبما كان من الملمح أثبت معرفة المناطق التي حشاها الأسماك وقت التوالد فيمنع الصيد فيها . من ذلك مثلا أنواع اللؤلؤ التي تبصر وتفرخ بين الحشائش المائية (كالبردي) فيجب إبعاد الصيادين عن تلك المناطق أثناء موسم التوالد .

ومن أسماكنا كالبردي والطوبار ما يترك الماء العذب أو البحيرات الشاطئية ليخرج إلى البحر فيفرخ .

ولما كان يخرج هذه البحيرات إلى البحر بمرغاضاً ضيقاً ، أصبح واجباً منع الصيد بيتانياً في البواغيز الموصلة بين البحيرة والبحر للسماح للبردي والطوبار بالخروج إلى البحر ، ولا فرائخه — وهي تقدر بالملايين — بالعودة إلى البحيرات

كأننا هذه المعلومات البيولوجية استطعنا أن نفهم بالشرط الأول من شروط علم الحيوان التطبيقي . وهي حماية النوع بمساعدة الطبيعة في مجهودها نحو بقاءه .

على أن هذه المعلومات يمكن الاستفادة بها على وجه آخر . إذ يمكن للاخصائي أن يقدّر الطبيعة في عملها بأعداد أمكنة خاصة لإفراخ الأسماك وتمهيداً لها بالعناية ، وذلك بربد أعدائها عنها وتغذيتها تغذية تساعد على نموها الساجل . كذلك ينطبع نقل الأسماك من جهة تكثر فيها إلى جهة صالحة لنموها وتوالدها ولكنها فقيرة منها .

وفي البحار تتخذ هذه المسائل طابعها الخاص ، ولكن الدراسة تقضي هنا أيضاً بتعرف حياة الأسماك البحرية من سرعة نموها إلى أمكنة توالدها إلى هجرتها .

لقد كان حديثنا حتى الآن عن السمك نفسه تلك الوحدة الحية التي ليست سوى جزء من كل . وهذا الكل هو الوسط الذي يعيش فيه الأسماك ولها به صلات وثيقة . لذا كانت دراسة هذا الوسط تعادل في الأهمية دراسة السمك نفسه . هذا الوسط متجانس ظاهراً . ولكن كم من العوامل تجعل من هذا التجانس الظاهر اختلافات عديدة . ومن الطبيعي أن يتأثر المخلوق المائي بتلك العوامل . لقد كانت جميع المخلوقات في ظلام التاريخ الجيولوجي تعيش في الماء . مرة التكوين سهلة التأثير بالعوامل المحيطة . وقد احتفظت المخلوقات التي لا تزال تعيش في الوسط المائي بتلك المرونة التكوينية التي كانت الأصل في تعدد الأنواع . ودراسة الوسط المائي دراسة تفصيلية تفتي ضرواً جديداً على عوامل التطور على أن لهذه الدراسة أهميتها العملية . فالوسط المائي يشتر أعمال الاختصاصي شطرين — يولوجيا المياه البحرية . ويولوجيا المياه العذبة . وقد يتصل الشطران إذ يختلط وسط وآخر كما يحدث

ذلك في بحيراتنا الساحية . أو يختلط بخران من تكوين وطبيعة مختلفين كما حدث ذلك بحفر قناة السويس .

ما منشأ اختلافات المياه العذبة والماء وسط متجانس ؟ أولها وأهمها وجود المواد الذائبة فيه . وينشأ عن وجود هذه المواد ظواهر كيميائية طبيعية أهمها « الأسوز » ومن أظهر المواد الذائبة في البحار كلورور الصوديوم . والمخلوق المائي يعيش في حالة توازن كيميائي طبيعي مع الوسط المحيط به . ولقوة الأسوز الباطني في هذا التوازن . فإذا غلبت السمكة من أسماك الماء العذب إلى البحر اختل هذا التوازن . وعجزت السمكة عن مقاومة هذا الاختلال طويلاً ثم ماتت . وكذا العكس .

على أن هناك غير قليل من الأسماك دخلت من البحر إلى البحيرات الساحية . وتموت مياهها أقل ملوحة من مياه البحر . بل قد تصل في جنوبها إلى ما يدنها من مياه الأنهار . بل هناك أسماك تتحمل الحياة في الماء العذب والبحر على السواء . على أن تلك الأسماك البحرية التي تعودت الحياة في الماء العذب أو الأجاء تدفن فطرتها إلى العودة إلى البحر لتفرخ . وإذا امتنع عليها الوصول إلى البحر أصابها الغم . وتلك حالة تماين السمك (الانتقال) والبردي والطوبار من أسماكنا المصرية .

ويعرف سكان المنزلة والبرلس وأدكو تلك الظاهرة بحق المعرفة . إذ تخرج آلاف البردي والطوبار إلى البحر في مواسم معينة يطلقون عليها « المخرجات »

وقد اكتشف الأستاذ (يوهانس شيدت) اكتشافاً بعد من أغرب ما وصل إليه الكشف العلمي في البحار . وهو أن تماين السمك التي تعيش في الأنهار والبحيرات الآتورية تخرج إلى عرض الاقياوس الاطالطيتي لتفرخ قرب جزر (الاتبل) عد منطقة تسمى بحر سارجاس .

وتهاجر تماين السمك الأمريكية شرقاً لتلقى تماين السمك الأوروبية في منطقة بحر سارجاس .

فإذا انتهى موسم الإفراخ انجذبت أفراخ التماين الأوروبية شرقاً وإفراخ التماين الأمريكية غرباً حتى يصل كل منها إلى قاره . فيدخل الأنهار في شكل أسماك مستديرة زجاجية بيضاء اللون . وهي ما تسمى بالحكليس . وتعرف مصر هذه الظاهرة . أي خروج تماين البحر وعودة آلاف الحكليس إلى البحيرات الشاطئية ودخولها نهر النيل .

وتلك ظواهر تراها رأي العين في مصر . ولو أننا لا تزال في شك بما إذا كانت التماين المصرية تفرخ وسط الاطالطيتي أو

في البحر الابيض المتوسط .

لقد أوردنا تلك الأمثلة لنين الى أي حد وصلت مرونة تلك الأسماك في تحملها تغير قوة الأسماك .

كما يهم الباحث معرفة الأكسجين الذائب في مياه ما .. لانه يتوقف عليه تنفس الأسماك . ألا أن احتياجه نوع من السمك الى كمية من الأكسجين لا يوازي احتياجه نوع آخر . فقد يموت نوع اذا هبط مقدار الأكسجين الذائب الى ٤ جرامات في اللتر مثلاً . بينما يقاوم نوع آخر حتى يبلغ الأكسجين جرام ونصف في اللتر . ثم تبدو عليه علامات الضيق . حتى يموت .

ولكل هذا أثره في مواطن الأسماك . أسماك لا تعيش الا في مجارى المياه الجبلية حيث المياه جارئة تذيب في تدفقها كمية كبيرة من الأكسجين . وأفضل مثل على هذا سمك (التروتا) المعروف في البلاد ذات المجارى السريعة الجبلية كويسره واسكتلندا وكندا النخ . . وأسماك تعيش في الأودية كسمك الكارب والناش في أوروبا وجميع أسماك مياهها العذبة .

كذلك يهم الباحث معرفة درجة حرارة المياه وحركاتها كالتيارات والمد والجزر لأن لكل واحدة من هذه المسائل أهميتها في دراسة الأسماك . فهذا النوع يفرخ أذ تصل حرارة المياه التي يعيش فيها الى درجة معينة . وذلك النوع ينشئ المياه الهادئة كي يفرخ في مأمن من التيار النخ . .

وقد سبق الكلام عن أهمية دراسة القاع لمعرفة الأنواع التي تنشاء ، ودراسة القاع تدخل ضمن علم الصخور وهو فرع من الجيولوجيا .

ودراسة غذاء الأسماك يتطرق بنا الى دراسات بيولوجية أخرى . فقلنا أن نعرف نوع الغذاء . فمن أسماك تتغذى على أسماك أصغر منها ، أو حيوانات صدفية أو ذوات القشور أو ديدان . الى أسماك لا تتغذى الا بالنباتات المائية .

وعلى أخصائي الأسماك أن يتعرف جميع الأنواع التي تكون ذلك الغذاء ، وحيات هذه الأنواع . وبما لاشك فيه أن نوع الغذاء أثره واضحا في شكل الأسماك . فلكل الأنواع التي تحتاج في غذائها الى المطاردة السريعة يتخذ جسمها الشكل المغزلي ، وهو أوفق الأشكال للحركة السريعة . كما نرى في التونة والبلايطة . وتلك الأنواع التي تجمد غذاءها على القاع يتطور شكلها تبعاً لحياتها الهادئة . فهي مفرطحة كما نرى ذلك في سمك موسى وأشباهه .

ولا يستطيع خبير المصائد أن يقرر صلاحية بحيرة أو بركة

لترية نوع خاص من السمك قبل أن يقرر نوع الغذاء الذي يقتات منه . بل وأفضل تغذية تعجل في نموه وتكسب له صفات شهية .

ورغباني هذا المقال أن نمر سراعاً على شتى المسائل التي تناولها بحوث مصائد الأسماك . وهي متعددة الوجوه لا يستطيع فرد واحد أن يضطلع بها . بل هي في حاجة الى فرقة من أخصائيين ذوي ثقافة علمية قوية تشمل علوماً مختلفة منها التاريخ الطبيعي بأنواعه و علم الحيوان والبات والجيولوجيا وعلوم الكيمياء والطبيعة . وعلم الأرصاد الجوية ومبادئ الإحصاء .

على أننا لم نأت على آخر ما يتعين على أخصائي بحوث المصائد أن يعرفه . أذ أن هذه العلوم تتبع في تطبيقها العملي الظروف الخاصة بكل إقليم

ولنضرب مثلاً لذلك نظام الري في مصر . من رى الجياض وما اليه من يارات وقنوات . ورى الدلتا بترعه ومصارفها واتصاله بالبحيرات الشاطئية . وأثر الخزانات والقناطر . تلك مظاهر مائية تكاد تكون خاصة ببلادنا . وهي لهذا تفتح أمام خبير المصائد فتحاً جديداً في التطبيق العملي . أذ من البعث أن يطق الإنسان بلاداً نصر طرائق بلاد على بلاد أخرى . وأنما عليه أن يجد لكل حالة ما يلائمها معتمداً على دراسة متينة ، وتجربة متعددة الوجوه . وفيه للظواهر الخاصة بالبلاد

=====

هرمن ودروتيه

للشاعر الألماني الكبير

جوته

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الكتاب . وهو من أحسن ما ألفه شاعر ألمانيا الأكبر . وقد نقله عن الألمانية الدكتور محمد عوض محمد . وكتب المقدمة الأستاذ الدكتور طه حسين . ويطلب الكتاب من المكاتب المعروفة ومن إدارة اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ وتمن النسخة خمسة قروش

=====

زوروا مطبعة فاروق

٢٨ شارع المداين مصر

القصص

مشاهدات غريبة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

أستاذ الكيمياء بكلية الطب

١

في منجم

كانت ليلة السبت ١٨ فبراير سنة ١٩٧٨ موعد انعقاد الجمعية الطبيعية الكيميائية في الكلية، وكان المقرر أن يذهب أعضاءها لزيارة منجم فحم على بعد ميلين أو ثلاثة من نورتجهم. فبعد أن تناولنا الشاي بالكلية خرجنا ومعنا الرئيس الأستاذ بارتن (١) فركبنا الترام إلى المنجم. وهناك وجدنا بعض رجاله ينتظروننا، فقبل لنا أنه لا بد من أن يحمل كل منا مصباحا يستضيء به، وقادونا إلى غرفة المصابيح أو بالأحرى مخزنها، وقد ذكرني حين دخله بمخزن القناديل في مسجد البلد أيام كان المسجد بضاء القناديل، فقد كانت رائحة الزيت المحترق تفوح من المصابيح الموقدة المصفوقة. وكان كل مصباح عبارة عن قيلة داخل أسطوانة قصيرة من الزجاج متصلة من أعلاها بمخروط ناقص من شبك الحديد، يظهره مثله من صفائح الحاس، وهذا ينتهي بحلقة يحمل منها المصباح تلتقي عندها أسلاك تصل بالقاعدة وتصور زجاجتها. هذا هو مصباح (داني) اخترعه السير (همفري داني) لأول مرة سنة ١٨١٥ وهو على بساطته جم النفع، لأن شبكته الحديدية تحول بين اللهب: لهب المصباح — أو لهب ما قد يدخله من غازات وربما تصاعدت من شقوق يصيبها العامل في انقطاعه الفحم — وبين أن يمتد إلى ما قد يحالط هواء المنجم من غاز قابل للالتهاب، فيحترق دفعة واحدة فينسف ما حوله. وتلك خاصة من خواص ما شابه

كان رحمه الله مثالا لخلق الكرم وإدراك الراسع والحساسية الجيدة. بدأ حياته بكلية نورتجهم ميا من صبيان ساعدا يخدمها وينظم فيها وانتهى بأن صار أستاذ الطبيعة بها وقد انتخب زميلا بالجمعية المرموقة

الحديد والحاس من الممادِن أنها لسهولة سريان الحرارة فيها إذا لامست غازا ملتها أخذت من حرارته ما يكفي لتخفيض درجتها عن درجة الالتهاب. فإذا نفذ الغاز منها إلى خارجها فغدير ملتهب حمل كل منا مصباحا وزهبا لنزول المنجم فإذا المنزل إليه فوهتان كأنهما بتران متجاورتان منصوب عليهما قوائم متشابهة من الحديد عظيم حجمها وارتفاعها، تحمل في أعلاها جهازا يتدلى منه سلسلة منية: حل في طرفها صندوقين كل صندوق في فوهة. والسلسلة من الطول بحيث إذا حاذى أحد الصندوقين وجه الأرض، من الآخر أرض المنجم على عمق خمس وسبعين وماتى ياردة. هذا هو الرافع الذي يرفع به الفحم إلى سطح الأرض ولكنه لا كالذي نعرف عن الرافع، فانه على سماجته التي لا تليق بما جعل له، عجيب في نظامه وحركته. وهو يتحرك بالكهرباء: يدير العامل مفتاحا في إحدى تلك القوائم، فيدق جرس صغير ثلاث دقائق في باطن الأرض وفي ظهرها أيذا، وعندئذ يهوى أحد الصندوقين ويرتفع الآخر بسرعة ثلاثين ميلا في الساعة. وكل منهما في بدء هبوطه يدع سلسلة كان قد رفعها تقل حاجرا من من خشب فيسد باب الفوهة. فإذا ما قارب الصندوق مقربه في صعوده رفع السلسلة فانفتح الباب

بدأنا النزول متعصفا الساعة السابعة. فدخل منا عشرة صندوقا فوسمهم مع العامل واقفين متلاصقين. وإذا في أرض الصندوق قضبان حديدان إذا بلغ الصندوق أرض المنجم كونا جزءا من السكة الحديدية الممتدة فيه. وعليها توقفت عربات الفحم ورفع بها فيها إلى سطح الأرض. والهابط إلى المنجم بشعر بالملك شمعت ببعضه إذا كنت هطت وأكبا بعض مصاعد الحوانيت التجارية أو الماني الكبرى. يخيل إليه أن الرافع قد هوى من تحت قدميه. ويقوى هذا الشعور عنده كلما زادت سرعة الهبوط حتى إذا بدأت تناقص في النصف الآخر من المسافة وأحس حمل أرض الرافع لقدمة أكثر من قبل خيل إليه أنه صاعد وليس بصاعد. وفي صعوده بشعر بعكس ما شعر في هبوطه. فلما تكامل عددنا داخل المنجم ذهبنا إلى غرفة الملابس فخلع بعضنا فيها رداءه. ثم سرنا في طرق

المبارزة

للكاتب الروسي اسكندر بوشكين

كما نتمسك في قرية روسية صغيرة ، وأنت تتركك بالطبع حياة المصايد وما تكون عليه ، تؤدي في الصباح التمرينات العسكرية وتتدرب على ركوب الخيل ، ثم تناول طعام الغداء عند قائد الفرقة أو في المطعم اليهودي ، فإذا جاء الليل أخذنا لشرب الخمر ونسب الورق ، ولم يكن لنا غير هذا الجانب الصليل من الحياة ، لأن الفتيات الناضجات لم يكن يسمح لمن بالخروج ، وكنا نتفق الوقت معا حتى اذا احسنا لم نجد بيتنا فرداً لا يرتدى الملابس الرسمية .

ثم تعرفنا الى شخص من غير الجنود ، ومع أنه كان في الخامسة والثلاثين تقريباً كما نعتبره أكبر من هذا بكثير ، وكنا نفتقد في حكته وكثرة تجاربه ، ولقد أسرنا نحن الشبان بكرمه وقوة شخصيته وما فطر عليه من التهم وعدم الاكتراث . وخيل إلينا أن وراء هذا كله شيئاً يكتمه ، وأن بين ضلوعه سرّاً يطويه . ولقد نبأنا أنه كان في فرقة الفرسان يشهد له الجميع بالتفوق والنشاط ، ثم استقال منها فجأة لسبب مجهول ، واشتكف في هذه القرية الصغيرة ؛ ومع قلة معاشه كنا نراه ينفق عن سعة ويفتح بيته لنا نحن الضباط ، فإذا جلسنا الى مائدته استطعنا أن نأكل ثلاثة أصناف من الطعام ، وأن نشرب الكثير من كؤوس الشبانيا ؛ ولم تكن تعرف شيئاً من شؤونه الخاصة ، غير أن الذي يعد له طعامه هو خادمه المجوز الذي كان في مطلع حياته جندياً ؛ ولم يحسر أحد على سؤاله عن حياته أو ماضيه .

وكانت له مكتبة حافلة بالكتب بمعظمها خاص بالجندي وما

والعامل في منجم الفحم يتقاضى أجراً كبيراً لما في عمله من الخطر والمشقة . وهو يحاسب على كل طن يقطعه ، وقد يقطع ما يؤثر عليه سبعة جنيهات في الأسبوع . وقد وجدنا أن المنجم مقسم الى مناطق صغيرة كل منطقة لها رمز من عدد أو حرف تعرف به ويعرف به العامل فيها . وكلما ملا عامل عربية كتب رمزه على كل قطعة ظاهرة من فحمها ليعرف أنها له فتضاف الى حسابه . والمنجم الذي زرناه كان يستخرج منه في اليوم في ذلك الحين مائة وألف طن من الفحم لقطة المال . وقبل الحرب كان يستخرج منه نحو الى خمسة آلاف طن في اليوم .

محمد احمد الفمراوي

فيها بعض سعة سفوفها أقبية مبنية ، ونورها مصابيح كهربائية . تزيد زيارة الجهاز الكهربائي الضخم الذي يحرق عربات الفحم من مسافة لا تقل عن ميل . ولا تفل العربات تتحرك كما يتحرك الترام ، ولكن بجبل غليظ مشدود بها اذا دار الجهاز دارت اسطوانة كبيرة بسرعة كبيرة فالتف عليها الجبل فاجرت العربات . ثم ذهنا فرأينا مرابط الخيل التي تجر العربات فيما وراء الميل ، فاذا هي ليست أسعد حالاً من خيول جر الاثقال في مصر . وهي شر منها في أنها قائمة قائمة تحت الارض لا ترى النسر بعد نزولها المنجم حتى تموت ثم سرنا بعد ذلك ميلين في طرق تضيق حتى لا تكاد تتسع لشخصين يسيران جنباً لجنب ، كانت من قبل عروق الفحم في الارض فتقبها العامل بصبره ومعه ، نائماً على بطنه ومستلقياً على ظهره ومائلاً على جنبه ومنحياً وقائماً . وكلما تقب خطوات الى الارتفاع المرسوم جاء بالأخشاب الغليظة فجعلها سقفاً يحمل طبقات الفحم أو الطين حتى لا تنهار ؛ تحمله من جانبيه قوائم من مثله أقيمت عمودية على جانبي الطريق . ولم يخجل سيرنا في تلك الطرقات من تعب ، فكثيراً ما كنا نسير فيها منحنيين نحس السقف بأعيننا والارض بأرجلنا ؛ ولكننا كنا نتخذ من ذلك كله فكاهات نضحك لها . فمن كان يرانا عندنا . كان يرى أشياء يحمل كل منها مصباحاً . ولم يخجل منظر المصابيح يتلو بعضها بعضاً من بهجة في تلك الظلمة ؛ ثم كان يسمع أصواتاً تجاوب ، فلا يكاد القائد يقول - وكثيراً ما كان يقول : - رأسك والخشب ! حتى يرفع بها صوته من خلفه . ولا يزال فم يلقى بها الى فم كلما مر بالخشب شخص حتى يبلغ آخر الصف . وقد تسمع بين ذلك همساً يصيح : وادماغاه ! وذلك : واركبناه ! أو تسمع سائلاً يسأل وآخر يجيب . وأحياناً اذا استقام الطريق كانت ترتفع أصوات بعض الغناء نغمه معاً ، فتجد له عندئذ ما يجد الجندي الذي أنعمه السير الموسيقى . وكنا نظن أننا ذاهبون لرى القاطعات الكهربائية التي تقطع الفحم ؛ فإذا بالقائد يقودنا كل تلك المسافة ليرينا الفحم أين هو ؛ فلما سألناه عن القاطعات قال هي في جهة أخرى لا نصل اليها من موقعنا ذلك الا عند منتصف الليل . فرجعنا أدراجنا نقول : متى نبلغ ؟ ولم نبلغ إلا بعد الثامنة . فكتب كل منا اسمه في دفتر الزائرين ثم صعدنا فزرا المولد الكهربائي الذي يدير تلك الآلات كلها ؛ فإذا بالآلات يحار فيها الفكر في غرفة عرجها عشرون خطوة وطولها خمس وعشرون ، ويكفي لتقدير عظم آلاتها أن التيار يتولد عن قوة محرك كهربائية قدرها ٢٥٠٠ فولت . ولصل ترام القاهرة لا تزيد القوة المحركة لتياره على خمسمائة .

ببصل بها — يعبرها مسروراً ولا يسأل عنها بعد ذلك . كما أنه اذا استعار كتاباً لم يفكر في رده الى صاحبه . . . فاذا دخلت غرفته وجدت جدرانها مغطاة بطرؤف الرصاص فيكسها ذلك شكل عش الزنور . ولم يكن في داره من معالم الترف غير مجموعة ثمينة من النادق والاسلحة .

وهو يرتدى في الغالب سترة رثة . فاذا نظرت الى ملامح وجهه وحديثه روسيا في الصميم ، مع انه عمل اسماً احياناً . ولقد كان ماهراً في الرماية الى حد أنه يصوب بندقيته الى خوذة الواحد منا فيصيدها دون أن ينال صاحبها سوء . . . وكثيراً ما تحدثنا عن المبارزة ، ولكن « سيلفيو » — ولتسمه بهذا الاسم — لم يكن يشترك معنا في الحديث . فاذا ما سأله أحدنا عما اذا كان قد تبارز في حياته ، رد بالاعجاب ولم يزد ، وخيل اليه أنه يكره هذا الموضوع لانه يشير ذكرى حادثة معينة قتل فيها فرد معين من ضحاياه العديدين .

وفي ذات يوم كان يتناول طعام الغداء في منزل « سيلفيو » ثمانية أو تسعة من الضباط ، وكنت أحدم ، واذكر أننا شربنا ونسرفنا في الشراب ، فلما انتهينا من طعامنا رجونا من مضيفنا أن يكون أمين الصندوق في لعب الميسر ، ولكنه رفض ، لانه قلما يلعب ، فلما أصررنا طلب لنا الورق وجلسنا الى جانبه على شكل دائرة أخذنا نلعب .

لم يتحدث الرجل أثناء اللعب ولم نجره الى المعارضة أو الشرح ، وكان إذا أخطأ أحدنا أعطاه ماله أو حجز ما عليه لنفسه . وكنا جميعاً نعرف طريقته . . . وحدث أثناء اللعب أن ضاعف أحدنا — وكان ضابطاً حديث العهد بمسكنا — رهانه على ورقة بالقدات دون قصد منه لانشغاله وذهوله ، فلما كان من سيلفيو إلا أن تناول قطعة الطباشير وكتب المبلغ المطلوب فقط . . . عارض الضابط وأراد أن يصحح خطأه ، ولكن سيلفيو لم يعره اهتمامه ، وظل يدير اللعب كأن لم يحدث شيء . . . وهنا تناول الضابط الثلاثة وعما الأرقام ، فأجاب مضيفنا على ذلك بأن أعاد كتابتها في هدوئه المهدود . كان الضابط متأثراً بالشراب وباللعب وبضحكات زملائه الساخرة فظن أنه أهين ، وتناول شمعدانا رمي به وجه سيلفيو ولكنه انحنى قليلا الى الامام فأخطأته الضربة . فدمدنا جميعاً وانتظرنا ماذا يكون بينهما .

وقف مضيفنا شاحباً . وسدد الى الضابط نظرات دونها نظرات النور وقال له « لتغادر المكان يا سيدي ولتشكر الله على أن ما حدث كان في بيتي »

ولم نشك لحظة في نتيجة هذا الحادث وما سوف يسفر عنه من قتل زميلنا الجديد . ونظرنا جميعاً اليه وهو ينادر المنزل في وجوم معلنا استعداده لمقابلة سيلفيو في الوقت الذي يراه . وطبيعي ألا يستمر اللعب بعد ذلك كثيراً لأننا انصرفنا واحداً بعد واحد لما رأينا على مضيفنا من علامات الدهول والانهال . ولم نكدهنود الى مسكنا حتى أخذنا نتحدث فيما سيؤول اليه هذا الحادث الفريد

وفي صبيحة اليوم التالي عندما كنا نقوم بتدريبنا العادي على ركوب الخيل تساءلنا هل مات الضابط أم لا يزال على قيد الحياة ؟ ولكنه ظهر بيننا . فمجينا للأمر وأمطرناه وابلامن الاسئلة ، فأجابنا أنه لم يتلق دعوة ما الى المبارزة من سيلفيو . وأسرعنا الى زيارة الرجل في منزله فوجدناه يتدرب على اطلاق الرصاص وقد ألصق بالباب غرضاً جميل يصوب الطلقات اليه نباحاً فلا يخطئه . فلما رأنا تلقانا كمعادته . ولم يذكر لنا شيئاً عن حادث الليلة الماضية . . . ومرة ثلاثة أيام والضابط لا يزال على قيد الحياة ، ونحن نتساءل (ألا يتبارز سيلفيو ؟) أجل لن يتبارز الرجل ابل راح يشرح الاسباب العرجاء التي لم تقنع أحدنا منا

وهذا الرفض وذلك الاحتمال من جانب الرجل — أساء الى سمعت بيننا نحن الشبان ، لأن الشباب لا يشتر الجبن ، ويعتقد أن الشجاعة خير الصفات التي يجب أن يتصف بها المرء في جهاد الحياة ، وأن الشجاع يستبج لنفسه كل شيء . يحلل الحرام ويحرم الحلال . ولكن سرعان ما نسبنا كل شيء بعد مدة ، وسرعان ما استعاد سيلفيو مكانه القديمة بيننا .

وفي الحق أن رأيي في هذا الرجل لم يعد إلى ما كان عليه ، لأنني رومانتيكي في خيالي وتفكيري ، ولقد أحببت هذا الرجل أكثر من يبري ، مع أنه كان لغزاً للجميع . وكنت أقصوه دائماً بطلاً كدرامة رائعة . وكنت واثقاً من أنه يحبني ، فاذا انفردي ترك نهكه اللاذع وراح يتحدث معي في شتى الموضوعات . ولكني بعد الحادث المعروف لم أكن أطمئن اليه ولا أرتاح إلى حديثه ، لاعتقادي أنه أهين ولم يغسل إهاتته بالدم . وكنت أعشش مقابله أو النظر اليه وكان الرجل من القاء ونفاذ البصيرة بحيث أدرك تماماً سبب تبيري . وخيل الى مرتين أنه يريد أن يتحدث الى في هذا الموضوع

ولكنه تجاهلته ولم يعبر من جانبه على الحديث

عند السيد بونس

(يتبع)



فتح العرب لمصر

تأليف الدكتور ألفرد . ج . بتر

وتعريب محمد فريد أبو حديد

للاستاذ عبد الحميد العبادي

أستاذ التاريخ بكلية الآداب

سمعت أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد بك يقول مرة مامعناه :
أنا الآن في دور النقل والتعريب من حياتنا العلمية . وهو قول
لا غبار عليه ، فأنز من الاقتصار على نرائنا العلى والأدنى القريم قد
انقضى منذ عهد بعيد ، وزمن الابتكار فى العلم والأدب لم يأت بعد ،
وينبغى أن يتقدمه زمن توفر فيه على نقل أصول العلوم والفنون
والآداب الغربية الى لغتنا العربية إقتداء بما فعل السلف الصالح فى
صدر الدولة العباسية .

أنا بهذا التوفر نبث فى حياتنا العلمية روحا جديدا ، ونكسبها
مادة جديدة وأسلوبا فى البحث والدرس العلى جديدا . ونكون
قد مهدنا للحياة العلمية المستقلة . وأعدنا لها أساسا قويا واسخا
لا يخشى عليه من تطاول البنيان ومرور الزمان ، ونكون قد أدبنا
واجب العلم والوطن والانسانية جميعا .

لكن الترجمة الصحيحة عبء ثقل مضى يقتضى كثيرا من الجهد
والتضحية . فهى من ناحية المترجم تطلب غزارة علم وأدب ، وأنكارا
شديدا للذات ، يستعذب معه المترجم أن يكون أسيرا للتألف الذى
ينقله . وقليل من الناس من يصبر على مثل هذا العناء . ثم هى تقتضى
من ناحية الناشر ، وبخاصة فى بلدنا هذا ، أن يوطن نفسه على الحسارة
المادية نصيبه عما ينشر . فاذا استطاع أن يخرج من الامر كفافا
لا له ولا عليه فخبه ذلك .

والناشر بعد تاجر يقيس قيمة الكتب بالقائدة المادية المرجوة
منها ، فاذا يحمله على أن يمرض ماله للضياح ؟

من أجل ذلك كسدت سوق الترجمة فى بلدنا . وتأثرت حياتنا
الأدبية بهذا الكساد تأثرا شديدا . حتى أصبحت لاشرقية ولاغربية .
ولاقديمة ولا حديثة . ولكن المحدثه . فقد أخذت هذه الحال
تؤذن بالانحول والزوال . وآية ذلك ما نسمعه عن التفكير فى وضع
قاموس عربى جديد يجمع شتات اللغة التى أصبحت الى حد بعيد
سباعية غير مدونة . ومن آيته أيضا ما ترجم فى السنوات الأخيرة
من غرر أدب الغرب وعله . نذكر من هذه الفرع على سبيل المثال :
كتاب الجمهورية لأفلاطون . وكتاب الأخلاق . وكتاب الكون
والفساد . ونظام الآئينين لأرسطو . وآلام فرتر لجوته . وفارست
له أيضا . والشاهنامة للفردوسى . وأصل الانواع لدارون . ثم كتاب
فتح العرب لمصر . وهو الذى سقنا هذه المقدمة تمهيدا لتعريف
به أصلا وترجمة .

ألف كتاب (فتح العرب لمصر) منذ ثلاثين سنة بحاجته الإنجليزية
هو الدكتور ألفرد . ج . بتر . ونقله الى العربية منذ عام صديقا
الاستاذ محمد فريد أبو حديد . ثم بشرته فى هذه الايام لجنتنا المباركة
لجنة التأليف والترجمة والنشر . والكتاب يقع فى قرابة ستمائة
صفحة مكسورة على ثلاثين فصلا وبضعة ملحقات . فى الفصول
الاربعة الاولى يعرض المؤلف الحال السياسية العامة للدولة الرومانية
فى أوائل القرن السابع الميلادى ويتكلم عن الثورة التى انتهت بأن
أصبح هرقل عامل الدولة المذكورة . وفى الفصل الخامس والسادس
والسابع والثامن والتاسع يتكلم عن غزو الفرس الشام ومصر .
فهضة هرقل واسترداداه الاقليمين المذكورين وعقده مع الفرس
صلحا أعاد الى الروم شرفهم العسكرى . فالحال الادبية للاسكندرية
خاصة لذلك العهد . وفى الفصل العاشر والحادى عشر والثانى عشر
والثالث عشر يتكلم عن ظهور الاسلام . وفتح العرب الشام
ومصر . واضطهاد قبرس البطريك الملكانى للاقباط فى السنوات
العشر السابقة على الفتح . ومن الفصل الرابع عشر
الى الثالث والعشرين يفصل المؤلف الكلام عن حوادث الفتح
العربى لمصر . فيتكلم عن زحف عمرو بن العاص على مصر وبلوغه
مدينة مصر . وفزوة الفيوم . فواقعة عين شمس . فحصار حصن نابليون

وأخذه ، فالرحم على الاسكندرية والاستيلاء عليها . فاخذ المدن الساحلية الشمالية . فانهت السيادة الرومانية على مصر . ومن الفصل الرابع والعشرين الى الثلاثين يتكلم المؤلف كلاماً متعاً موضوعه حال الاسكندرية وقت الفتح . ومكتبتها المشهورة . وحريق هذه المكتبة المنسوب الى عمرو . وغزو عمر لبرقة وطرابلس ، والنظام الادارى الاسلامى الذى وضع لمصر عقب الفتح . ثم يتبع المؤلف هذه الفصول بملحقات حقق فيها . بصفة خاصة . شخصية المقوقس . والترتيب الزمني لحوادث الفتح العربى . والكتاب الى جانب ذلك كله مزود بخرائط ورسوم تعين على فهم موضوعه .

من هذا العرض العام يتبين القارى . أن المؤلف قد أحاط بموضوع الفتح العربى لمصر أهم الاحاطة . واستوعب وقائمه كل الاستيعاب . والحق أن الدكتور بئر قد جلا موضوعاً من أوعر موضوعات التاريخ الاسلامى . وحل كثيراً من النازة : أوضح شخصية المقوقس وكانت غامضة . ورتب حوادث الفتح ترتيباً أدنى الى الصحة منه فى أى مصدر قديم ، وأتى بالقول الفصل فى حريق مكتبة الاسكندرية ، وبين وجه الخلاف القديم فى فتح مصر ، أصلاً كان أم عنوة ؟ على أن الكتاب يؤخذ بنقص جوهرى واحد : ذلك أن المؤلف عنى بالجانب السياسى والدينى فقط من حال مصر قبل الفتح وأغفل شئون الادارية والاقتصادية على ما كان لها من أثر قوى فى سهولة انتقال مصر من حكم الروم الى حكم العرب . ولقد ظهر فى هذا الموضوع فى العشرين سنة الاخيرة بحوث قيمة كنا نود لو أن الكتاب طبع طبعة ثانية تضمن نتائجاً من هذه البحوث : « النظام العسكرى لمصر البيزنطية » لجان ماسيرو . و « الادارة المدنية لمصر البيزنطية » لجرمين روبارد .

ثم اتنا لا نوافق المؤلف على تصويره لغارة عمرو على الفيوم ، فهو يرى أن عمراً عند ما بلغ رأس الدلتا ورأى قلة من معه من الجند ، وخرج موقفه بين جنود الروم جنوباً وشمالاً ، أرسل الى الخليفة عمر بن الخطاب يستعده ، ورأى فى الوقت نفسه أن يشغل جنده ويستقدم من الخطر ريثما يصل المدد ، فتكلف عبور النيل الى شاطئ الغربى ، وأغار على الفيوم ثم عاد فعبر النيل ثانية ، فوجد المدد قد قدم من المدينة . لا شك أن هذه طريقة غريبة جداً فى الخلاص من المواقف العسكرية الحرجة . ثم هى لا تأتلف بحال مع ما عرف عن عمرو من شدة الدهاء وبعد المكيدة . يضاف الى ذلك أن المصادر العربية من حيث هذه الغزوة نوعان : فنوع لا يعرفها بالمرّة . ونوع يعرفها ، ولكنه يورد على صورة تجعلها أقرب الى المعقول من الصورة المذكورة : ومع ذلك لم يعتمد عليها المؤلف واكتفى بمتابعة يوحنا النقيوس بحجة أنه أقدم عهداً من كل المصادر

العربية . ولكن القدم وحده لا يكون دائماً دليلاً على صحة المصادر التاريخية . كذلك يؤخذ على المؤلف حكمه فى الفصل الحادى عشر بأن غزوة تبوك المشهورة كانت فشلاً ، لأنها لم تؤد الى ما كانت الرسول يرى اليه بها من مصادمة الروم . والحق أنها أدت الى ما كان النبى ^{صلى الله عليه وسلم} يرمى اليه من شد سلطانة السياسى على شمال الحجاز . بقيت ملاحظة يسيرة : لقد توهم المؤلف أن مسيلة المتنبى ظهر باليمن (ص ١٣١) والصحيح انه ظهر بالبحرين .

ومع ذلك فهذه الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية ، وحسب القارى ان يعلم ان الدكتور بئر قد أقام فى كتابه ، تاريخ الفتح العربى لمصر على أساس على متين ، وانه الى الآن لم يظهر فى ذلك الموضوع كتاب آخر يدانيه . فضلاً عن أن يفوقه

أما الترجمة العربية لكتاب فتح العرب لمصر فأحب قبل كل شئ . أن أهني صديقى فريداً على توفيقه فيها أخلص التهيئة . فقد جاءت صورة صادقة للاصل مطابقة له فقرة فقرة وجملة جملة . هذا مع سهولة العبارة وسلاستها ووضوحها . مما يشهد للاستاذ فريد بالبراعة فى صناعة الترجمة . ولكن لست شعري أى مترجم . ولو كان الاستاذ فريد نفسه . يترجم زهاء السبائة صفحة ثم لا يهغو قلبه ولا ينحرف عن الاصل الذى ينقل عنه يمناً او يسرة ؟ على هذا الاعتبار أهدي الى الاستاذ فريد هذه الملاحظات اليسيرة .

جاء فى صفحة ٢٥ هذه العبارة (النذر اليسير) وصوابها (النور) بالزاي المعجمة . وفى صفحة ٢٧ عرب أسم المستشرق المشهور De goeje ب (دى جويجه) وصوابه (دى غوبه) ووردت فى صفحة ٢٧ أيضاً كلمة (المونوفيسية) وأحسن منها ان يقال (المذهب يعقوبى) . وجاء فى صفحة ١٢٣ (هزيمة تبوك) بدلاً من (فشل غزوة تبوك) وهو المقابل للاصل . وفى صفحة ٨٣ ترجمت Theology (بالفتح) وصوابها (اللاهوت) . وجاء فى صفحة ٢١٨ (تسور الزبير الى الحصن) والصواب ان يحذف حرف الجر . وفى صفحة ٢٢٨ ترجمت Drawbridges ب (قناطر) وأصح من ذلك (جسور) لان العرف جرى بأطلاق اللفظ الاول على البناء الثابت الذى يعقد فوق الانهار وهو غير المراد من اللفظ الانجليزى . وجاء فى صفحة ٢٥٥ (وكانت مسلحة المدينة) بدلاً من (وكانت خامة المدينة) . وفى صفحة ١٠٦ (وقال عنه النوارى) وصوابه (النووى) بدون ألف المد .

على أن هذه الملاحظات ايضا لا تضر الترجمة شيئاً . وإذا كان الكتاب مثلاً يحتذى من حيث دقة البحث العلمى ، فترجمته العربية مثلاً ينسج على منواله من حيث أمانة النقل ومحة التعريب ؟

ضحى الاسلام

ما كان لي أن أقف مع الذين يتحدثون عن الأستاذ المحقق، أحمد أمين، ولا أن أساهم في الكلام عن علمه ومؤلفاته، لأن ذلك شأن لا يضطلع به إلا كبار أهل العلم والفضل ليكون لكلامهم من القصة ما يكافئ مكانة هذا العالم الكبير، ولكني وأنا أطلب العلم والأدب وأدرسهما منذ ربع قرن (وما زلت مجداً في سبيل) أجد لازماً علي وقد قرأت كتابه الممتع، ضحى الاسلام، أن أبين في كلمة صغيرة لأخواني طلاب الأدب والعلم ومن يعنون بدراستهما مقدار ما أخذت من هذا الكتاب ومدى انتفاعي به.

أخذت هذا الكتاب يوم صدوره أخذاً المشوق للبهان، لأنني كنت أرتقب صدوره بعد أن بزغ (نجمة) من زمن غير قليل، ولم ألبث أن عكفت على قراءته عكوفاً لم أدع معه النفس أن تتطلع إلى شيء غيره من متاع الحياة حتى انتهت منه. وفي الحق أنني لا أستطيع أن أصف وصفاً دقيقاً مقدار ما استمتعت به من هذا الكتاب، ولا أن أصور تصويراً صادقاً مبلغ ما فيه من علم وبحث، ولكني لو أردت أن أصف أمراً بعد أن فرغت من قراءته في عبارة صغيرة لقلت: إنني على كثير ما قرأت من كتب العلم والأدب لم أفد من كتاب مثل ما أفدت من هذا الكتاب، فقد كشف عن الحياة العقلية الإسلامية في القرن الثاني للهجرة بما لم يكن معروفاً مثله لأحد؛ فظهرت أشياء لم تكن تعرف من قبل، ووضحت أمور كانت غامضة أو مبهمّة، وصححت مسائل كان الناس يعلمون منها غير الذي حققه بحوثه العميقة عالمنا الجليل.

ولقد شهدت في هذا الكتاب الممتع كيف سارت حياة الاسلام في الحقبة التي أرخت فيه، وتورت على هدى تحقيقه ما أثر في هذه الحياة من مختلف النواحي وما تأثرت به هذه النواحي، حتى لكنت أحسب وأنا أدرس هذا الكتاب أن الحياة العقلية الإسلامية قد صورت تصويراً صادقاً على لوحة انسنا بحيث لا يخفى منها شيء، ولا يحتجب منها وجه.

وإني لأقرر في صراحة أنني بعد أن قرأت كتابي (فجر الاسلام وضحاها) قد تغير رأيي في كثير من أمور ديننا الخفيف كنت فهمتها من بعض كتب العلم، وأصبحت بذلك

مضطراً إلى أن أعود إلى هذه الكتب لأقرأها ثانية حتى أفهم ما فيها على حقيقته.

هذا بعض ما أخذته من كتاب، ضحى الاسلام، بقدر (قريحتي وفهمي) أنشره وأؤذن بصوت الحق أن هذا الكتاب الفريد تجب دراسته على الأديب والعالم والدين والمؤرخ وجوباً جزى الله عالمنا الجليل لقاء ما ناله من تعب وتحقيق في سبيل العلم خير الجزاء، وأعانه على إتمام ما انتدب له من خدمة العلم أنه سميع الدعاء.

محمود أبو رية

المنصورة

الهيام

لعبد الرحيم مصطفى قليات

هذا الكتاب ديوان شعر، وعنوانه (الهيام) قد يحدع القارىء لأول وهلة، فيحسب أن الديوان أكثره أو كله غريب، والحقيقة أن العنوان مقتبس من الآية (لم ترأنهم في كل واد يسمون) وقد هام هذا الشاعر في أودية كثيرة، والكتاب الذي بين أيدينا هو ثمرة هذا (الهيام)، وأشعار الكتاب مقسمة إلى خمسة أبواب: الأول: في الدين والأخلاق؛ الثاني: في الفلحة والاجتماع؛ الثالث: في تهذيب المرأة ومحبتها؛ والرابع: في الفكاهة؛ والخامس: وهو أطول الأبواب جميعاً، في الأناشيد، ومنه يتبين للقارىء أن المؤلف لم يدع حياة من الهيات في بلده إلا عليها كيف تنفي بأعمالها وشئونها، وكثير من هذه الأناشيد يصحبه توقيع مكتوباً بالعلامات الموسيقية، وسير المصربون إذ يرون هذا الشاعر السورى الفاضل قد ختم الكتاب بنشيد جميل (دمعة على سعد) ومعه لحن، ولم ينح لنا بعد أن نسمع توقيعه.

وقد أعجبتني في الكتاب كله تلك الروح الدينية والوطنية والخلقية العالية التي يحسها القارىء في كل صفحة من صفحاته، وقد عالج المؤلف عدة مواضع من الأهمية مكان، ولكن يخيّل لي أن الشاعر يكتب بسرعة وبكثرة هائلة لا تسمح له بتنقيح شعره واختيار عباراته وألفاظه، وليس من شك في أنه لو تأني وتربث لآتى بشعر جليل، وهو أحسن ما يكون حين يقصر علينا قصة وسير القارىء من القسم الفكاهي، وقد أعجبتني منه بنوع خاص قطعة البديعة (ليلة القدر)، ومن أجل هذه القطعة وحدها يستحق الكتاب أن يقنى.

٢٠٠٤ ع